تولستوي

٩

لم يمض على تولستوي بعد زواجه اكثر من اثنتي عشرة سنة حتى اكتسب في عالم الكتابة شهرة طائرة · وقد الف في هذه الاثناء روايتين كبيرتين شهيرتين وهما «الحرب والسلام» و«حنة كارينينا» ترجمتا الى اكثر اللغات الاوربية واحرزتا لصاحبهما مجداً اثيلاً يحسده عليه كل اصحاب الشهرة ومحبي المجد والفخر · غير ان تولستوي لم يستهوه شيء عن ذلك لانه انما كان يكتب للفائدة العمومية وليس لاكتساب المديح والاطراء · حتى ان الكآبة لم تكن تفارقه لحظة من الزمان وكانت تبدو في كثير من كتاباته وفصوله الاجتماعية · ومن يطالع كتبه في حرب القرم وما كتبه من الروايات الصغيرة والكبيرة في جميع اطوار حياته يدرك مقدار الكآبة التي كانت متسلطة عليه

لا ريب ان صاحب الترجمة كان قد اطلع على اكثر البلايا والاحزان والكوارث التي تتألم بسببها الانسانية وقد راى في نفسه ميلاً لمحاربة هذه الشرور فاندفع الى هذا النزال وهو كلما تقدم خطوة يزداد حزناً ومشاركةً للانسانية في مصائبها

وهاك بعض فقرات مما كتبه الى اصدقائه من الرسائل التي

تدل باجلى بيان على ما كان عليه من الحزن والكآبة وعلى رغبته الشديدة في خدمة الامة وعلى بعض ارائه الفلسفية. فقد كتب في ١٨ ايار سنة ١٨٧٦ «الانسان اما ان يشعر في داخله انه الآن لا شيء محجوب عنه او ان يكون اجهل من الفرس. والآن انا كذلك». وفي ١٤ نيسان سنة ١٨٧٧ «انك قد حدثتني اول مرة عن الله وانا منذ زمان لا افتأ من التفكر بهذا الامر العظيم الذي شغل خواطر اعاظم الناس في كل العصور». وفي ٦ نيسان سنة ١٨٧٨ «اراك شديد التعلق بالامور العالمية بحيث لو انقطع شيء منها فانك ترتبك وتحتار. اما انا فانظر الى كل ذلك بخلو بال ولا ارى لذة في هذه الحياة». وفي ٢٨ حزيران سنة ١٨٧٩ «اني اود ان اعطي الناس اكثر مما آخذ منهم. اريد ان اتعب لارضاء غيري وليس لارضاء نفسي» وفي ١٣ تموز سنة ١٨٧٩ «اني مضطرب ومتألم ومع هذا تراني على الدوام مواصلاً تعبي ودرسي على امل ان اسدّ الفراغ والنقائص في الحياة ثم اموت»

١٠

والغريب ان تولستوي مع بلوغه تمام العافية والصحة كان يفتكر على الدوام بالموت مع ان الناس الاصحاء قلما يخطر الموت في بالهم بل هم يعتقدون انهم غير مائتين

وكان ينظر الى مطالب الحياة بتمام الاستخفاف والازدراء فكان

يقول مثلاً « لو صرت صاحب ستة الاف فدان من الارض وثلاثمئة راس من الخيول فماذا يكون بعد ذلك ؟ » او « ما الغاية من تربيتي لاولادي واهتمامي بهم ؟ » او « اذا حسنت حالة الامة وادركت قمة المعالي من النجاح والاصلاح فماذا يعنيني ذلك » او « اذا ادركت اعظم مبلغ من النجاح بتأليفاتي ورواياتي وصرت اشهر رجال الدنيا فما اربي من كل ذلك ؟ »

وعندما كان يتأمل في مثل هذه الشؤون كان يتضجر ويتبرم من حياته ويفتكر بالانتحار تخلصاً من مثل هذه الافكار والخواطر لان الحياة لم تعد في نظره سعيدة بل كان يعتبرها سبيلاً الى الحقيقة العظيمة اعني الموت · وقد قسم الناس بالنظر الى الحياة والموت الى اربع فئات — فالفئة الاولى الاغنياء الاغبياء الذين لا يفقهون ولا يدركون ان الحياة هي شر واعيية لا معنى لها · والثانية الذين لا يهمهم من امور الحياة الا الاكل والشرب والملاهي · والثالثة الذين لا يرون التخلص من مكاره الحياة الا بالانتحار · والرابعة الضعفاء الجبناء الذين مع علمهم بان الحياة هي شر ولا معنى لها يتمسكون بها ويحرصون عليها كل الحرص

غير انه ما لبث بعد ذلك ان قال — ان الايمان هو قوة الحياة واذا اردت ان ابحث بحثاً دقيقاً عن الحياة فيجب ان اطلبها لا عند الذين يودون التخلص منها بالانتحار بل يجب ان ابحث عنها في

الوف الملايين من الناس الذين يحبون الحياة و يحرصون عليها كاعظم الكنوز

ولهذا اخذ يتعمق في درس اللاهوت و يطالع الانجيل بدقة غريبة و يخالط اكثر اصحاب المذاهب والاديان وقد درس اللغة العبرانية على احد مشاهير اربابها و كان قبلها قد درس اليونانية وقرأ اشهر كتب التفسير ووقف على اقوال المشترعين الكبار و بقي بضع سنين وهو يتأمل في اسرار الحياة و يدرسها درساً مدققاً و يقرأ اقوال علماء الدين والفلسفة . واخيراً كتب آراءه الخصوصية فيما يتعلق بالدين والاداب والحياة الاجتماعية

١١

في سنة ١٨٨٦ قال تولستوي لدانيليفسكي احد مشاهير كتاب الروس : « قبل هذا العهد بثلاثين سنة حينما شرع بعض الكتاب — ومن جملتهم انا — يكتبون كان القراء في روسيا يعدون بعشرات الالوف فقط اما الان وقد اتسع نطاق العلم وانتشرت المدارس فصار القراء يُعدون بالملايين وكلهم ينتظرون منا ان نقدم لهم من هذا الغذاء العقلي ما يكفيهم »

والحق يقال ان تولستوي قد قام بهذه المهمة الخطيرة اشرف قيام وخدم امته والعالم اجمع خدماً لا تحصى ولا تفنى . وقد احدثت كتاباته انقلاباً مدهشاً في الافكار والاخلاق والاعتقادات

وصار اسمه عظيماً في كل مكان فاذا تكلم انصت له الروسي والانكليزي والعبراني والتنغوزي والاميركاني والفرنساوي والهندي والياباني والنمساوي والصيني وجميع امم الارض

ان تولستوي قد ادرك اكثر من كل الناس « ان الله محبة وان الله في الحق وليس في القوة » وقد وقف نفسه لهذا الحق

ان تولستوي قد اشتهر بتعاليمه الادبية الاخلاقية اكثر من كل الناس وكان للجميع قدوة حسنة وانموذجاً صالحاً . فكان يشتغل مع الفلاحين في الحقول والمروج ولا يأنف من محادثتهم ومخالطتهم والمبادرة الى مساعدتهم بيديه قبل كلامه . وهو يعتقد ان مساعدة القريب بالنفس احسن بكثير من مساعدته بالمال لان الاولى تعلمه ان يحترم عمله والثانية تعلمه الكسل والاعتماد على الغير

من جميع جهات اوروبا واميركا يأتي السياح والعلماء والكتاب لزيارة تولستوي والوقوف على مبادئه وارائه وهو يقبل الجميع و يجاوب الجميع

اما موءلفاته فاكثر من ان تحصى وهي توءلف مكتبة برمتها واشهرها واكبرها « الحرب والسلام » و « حنة كارينينا » و « البعث » وكلها مكتوبة بلغة بسيطة يستطيع العامي فهمها

غير ان مذهبه الديني مخالف لمذهب المسيحيين فانه لا يعتقد

بلاهوت المسيح ولهذا السبب حرمه المجمع الروسي المقدس واعلن هرطقته سنة ١٨٨٧ وحرم مطالعة تآليفه الدينية . وقد قاومته الحكومة ايضاً مدة طويلة وعاقبت اتباعه ومن ذهب مذهبه او سعى في نشر كتاباته واقواله التي تطعن في جوهر الدين المسيحي . وقد حدث بسبب ذلك هياج الطلبة واهل العلم في روسيا مما ذكرته الصحف في حينه . ولا نطيل الكلام في هذا الموضوع لان ليس من غرضنا النظر في مذهبه الديني . وانما نقول ان تولستوي في كتاباته الادبية الاخلاقية وتآليفه الفلسفية يُعتبر اعظم كتاب جميع العصور وهو يُعتبر في روسيا مجدها وشمس علومها وادابها

وفي ٢٨ آب سنة ١٩٠٨ عيد الروسيون لمرور الثمانين عاماً من يوم ولادته وقد اقاموا له معرضاً عُرضت فيه جميع مؤلفاته بلغات مختلفة . وعمره الان اثنتان وثمانون سنة بنيف وهو لا يزال يكتب ويؤلف . وكلما كتب شيئاً يتهافت الكتاب من كل امة وبلد الى نقل اقواله ونشرها بين قرآء جميع اللغات

ومما يؤثر عنه ان احد اصحاب المطابع في اميركا ارسل يساله ان يخصه بشيء من مؤلفاته الجديدة ليتفرد بترجمته ونشره قبل ان يظهر ذلك في لغة اخرى وقبل ان يسبقه آخر الى ترجمته وطبعه وانه يدفع له في مقابل ذلك مبلغاً وافراً جداً من المال . فاجابه الفيلسوف انه يرسل اليه ما طلب بدون مقابل بشرط ان يبيع

هو ذلك بالرخص

هذا مجمل ما يذكر من تاريخ هذا الرجل العظيم وما تقلب فيه من اطوار الحياة وقد بقي ثم تفاصيل كثيرة من حياته لو تتبعناها لضاق بنا المجال وخرج بنا نطاق البحث الى ما يفوت حجم هذه المجلة و يستغرق كتاباً براسه

١٢

غير اننا قبل ان نمسح القلم من كتابة هذا الفصل راينا ان نشفعه ببعض فقرات من اقوال تولستوي نقتضبها بغاية الايجاز ونجعلها مسك الختام . فمن ذلك قوله :

الدين يكشف معنى حياة الناس . والعلم يوفق بين هذا المعنى وسبل الحياة

جميع الاعمال التي نعملها لاجل انفسنا لا تفيدنا شيئاً وما هي الا خداع نخدع به انفسنا

الحياة الحقيقية هي ما كانت تتمة للحياة الماضية . وتتمة لخير الحياة الحاضرة . وسعادة الحياة المستقبلة

الحياة الحقيقية هي ما كانت مؤسسة على انكار الذات لخدمة الناس

ان تعليم المسيح موءسس على المحبة والاخاء واما حياتنا فعلى القوة . فالقوي يتسلط على الضعيف والعالم على الجاهل والغني على

الفقير

انا نعيش حسب تعليم هذا العالم · نفتكر بحشد الاموال والتفوّق علَى الغير · نسعى ونضطرب ونتألم · ونفعل كل ذلك لكي نعيش كما يعيش الناس ولا نكون اقلّ شاناً منهم

جميع الاضطرابات التي حدثت لي وجميع المساوىء التي فعلتها في ايام حداثتي وشبابي وكذلك جميع الالام التي كانت تمزّق نفسي لم يكن سببها الاّ تعليم هذا العالم

سر بين جماعات الناس على اختلاف اطوارهم واحوالهم فلا تراهم الاّ ممتقعي الوجوه مبلبلي الافكار مضطربي القلوب ثم اذكر حوادث القتل والتعدي والانتحار والياس والرزايا بانواعها وتفكر قليلاً واسال نفسك «لمَ كل هذا؟»

نحن شهداء تعليم هذا العالم · وهذا التعليم مخالف لتعليم المسيح · وهو لا يوءدي بنا الا الى المخاصمة والشر والقتل والبغض · فبفضله نحن نتمنى هلاك قريبنا · و بفضله لا نمد يد المساعدة لاخينا في الانسانية · و بفضله نجهد انفسنا وراء غايات ومآرب لا تفيدنا · و بفضله ننسى معنى الحياة الحقيقية · ومتى نسينا ذلك نفعل ما شئنا من الجرائم والموبقات ونسير في ظلام حالك مدى الحياة

ليس بيننا سعداء · ابحث بين جميع الناس الفقرآء والاغنياء فهل ترى فيهم رجلاً قانعاً بما قُسم له من الرزق؟

كلٌّ يجتهد بكل قواه ليحصل كل مالا يلزمه وانما يجتهد لينال ما يقتضيه تعليم هذا العالم . واذا لم يتوفق لادراكه عد تعساً مسكيناً . غير انه لن يدرك سائر المطالب والمآرب لانها كثيرة متسلسلة لا نهاية لها

ان حياتنا تنقضي بين اهوال وشدائد لا تحصى . فالجرائم وحوادث القتل والانتحار من جهة والديناميت وانواع العقوبة والاوبئة من جهة اخرى وكلها تضغط على حياة الانسان وتحرمه كل سعادة وهناء

لا تقاوم الشر . (هذه هي القاعدة الذهبية التي قالها تولستوي وأيدها بالادلة والبراهين الساطعة وكتب فيها مقالات وقصصاً كثيرة جرت مجرى المثل . ومن كلامه لاحد اصدقائه في هذا الموضوع قوله — لو هجم عدوٌّ عليَّ يريد ان يذبح ابني لما قاومته)

ساعد قريبك وحبه (لا بالمال لان المال شر . ولا بالمعرفة لاننا كلنا جهلاء . ولا بالمدافعة عنه لان ذلك يوءدي الى المقاومة . بل ساعده بالمحبة)

ان تعليم المسيح هو تعليم المحبة

المحبة اعلى وانقى واقوى من المال

لا يقدر الانسان ان يعرف غاية حياته بل يقدر ان يعرف وجهتها .

(قبل ان تذهب يجب عليك ان تعرف الى اين تذهب ·
وهذا يلزمك ايضاً لتعرف كيف تعيش جيداً)

ان شريعة الله هي واحدة في جميع الازمنة ولاجل جميع الناس · غير ان التفاسير والطقوس تختلف باختلاف المذاهب · ولذلك تمسك بالذي يكون واحداً في جميعها

في حياتك مع الناس لا تنسَ ما تعلمته في العزلة · وفي العزلة افتكر بما عرفته من مخالطة الناس

الانتظار

··· وبعد العشاء جلس الرجال في ردهة كبيرة يدخنون ويتسامرون وكان حديثهم عن الثروة وحوادث الوراثة والغنى الفجائي · وكان بينهم رجل يناهز الخمسين من عمره وقور الهيئة طيب الخصال صادق اللهجة يقال له بطرس ···وكانت حرفته المحاماة · فالتفت الى الجماعة وقال — اني في هذه الايام ابحث عن وريث اختفى بصورة فجائية بعد حادثة عائلية بسيطة وهائلة في آن واحد · وهي من الحوادث التي تجري يومياً في كل مكان غير ان الحادثة التي سارويها لكم جرت بصورة خصوصية كما سترون فمن مضي ستة اشهر دُعيتُ الى منزل سيدة شريفة غنية

وكانت في اخر دقائق حياتها . فلما ابصرتني قالت : لقد استدعيتك لافضي لك بامر عظيم الاهمية واعهد اليك القيام به . وها وصاتي الاخيرة قد كتبتها قبل مغادرتي هذه الدنيا واوصيتُ لك فيها بخمسة الاف فرنك اجرتك اذا تعبت ولم تنجح و بمئة الف فرنك اذا نجحت . وهذه المهمة هي ان تفتش بعد وفاتي عن ابني . فساعدني لاستوي في سريري واقص عليك حديثي

فساعدتها واجلستها كما شاءت فتنهدت ثم اخذت في الكلام فقالت — انت هو الرجل الاول والاخير الذي يسمع مني هذا الخبر الهائل وساجهد كل قواي لارويه بتمامه لتكون علَى بصيرة فيما ستفعل . وقد اخترتك خصوصاً لهذه الغاية لانك طيب القلب خبير باحوال الناس وانا واثقة بانك ستساعدني المساعدة المرغوبة فاسمع :

اني قبل ان تزوجت علقت بحب فتى جميل الصورة دمث الاخلاق غير ان والديّ حالا بيني و بينه وحظرا عليّ الاجتماع به لانهُ لم يكن من الاغنياء . و بعد ذلك بقايل ارغماني الى الاقتران برجل غني وفي نهاية السنة الاولى من زواجنا وضعت غلاماً وقفت عليه جميع عواطفي وحياتي . وبعد بضع سنوات من ولادته مات زوجي وانا لم ازل في شرخ الشباب . وكان حبيبي قد تزوّج ايضاً غير انه اذ علم بوفاة زوجي عاوده الحب واستيقظت

عواطفه نحوي وجاء ني معزياً ثم اخذ يتردد عليّ و يكثر زياراته وكنت اعتبره في بادىء الامر صديقاً ثم تحوّلت الصداقة الى محبة فغرام . وكنا نقضي اكثر الامساء معاً وخصوصاً بعد وفاة والديَّ . ولا اظنك ياحضرة المحامي تلومني شديداً عَلَى هذا التهور في الحب لاني كنت وحيدة فريدة لا انيس لي ولا احد اشكو اليه وحدتي وكنت لم ازل في نضارة الصبا . نعم قد كان يجب عليّ ان لا اقبله في بيتي لانه ذو امرأة شرعية غير ان الهوى كان شديد الوطأة عليّ حتى عدمت رشدي وتفرّغت له بكليتي واصبحت عاشقة معشوقة وقضيت عَلَى هذه الصورة اثنتي عشرة سنة وانا لا احسب لشيء حساباً . ومما يجب ان اعترف به ايضاً اني تعرّفت بزوجته وتظاهرت بصداقتها ومودتها . نعم ان في ذلك منتهى الرياء والخداع غير ان الحب اعمى بصيرتي وكنت في اثناء ذلك اربي ولدي وهو يساعدني في تربيته و يظهر له من العطف والحنان ما يفوق كل وصف وكان الغلام يحبه ايضاً و يدعوه « الصديق الوفي » و يعتبره مخلصاً لي ورجلاً شريفاً . وكان يقبل نصائحه و يشكره على خدمه ومروءته . وظلت الحالة هكذا ان الى بلغ ابني السابعة عشرة من عمره

وفي احد الايام كنت جالسة وحدي انتظر الولد والحبيب للعشاء وكنت اعدّ الدقائق لحضورهما وانا اخالها اعواماً . واني لكذلك اذ فتح الباب ودخل الحبيب فقط فوقع عَلى عنقي يقبلني

ويضمني الى صدره . وبينا نحن كذلك دعا انتباهنا حركة في الغرفة فذعرنا كلانا والتفتنا واذا بولدي جان قد دخل ايضاً ووقف ينظر الينا بوجه ممتقع . فاجفلتُ وارتجفت ولا تسل عما اصابني في تلك اللحظة من عوامل الهلع والاضطراب والخجل . فدفعت عني الحبيب ومددت ذراعيّ الى ولدي كاني أستغيث به واسأله الصفح . غير انه اعرض عني وخرج ولم اعد اراه . ولبثنا كلانا جامدين ساكتين وكلٌّ منا يتبع سير افكاره . وقد شعرت بميل شديد الى الفرار والاختباء والانتحار ثم اجهشت في البكاء وكاد صدري يتمزق الماً . اما هو فلبث واقفاً امامي مضطرباً منزعجاً مذعوراً لا يعلم كيف يفاتحني الحديث . واخيراً قال : انا ذاهب لابحث عنه . . لاقول له . . لاقنعه بالمجيء الى هنا . .

ثم خرج وبقيت وحدي انتظر رجوع ولدي وفلذة كبدي وانا في اشد حالات التهيج والقلق . وقد مرّت عليّ الساعات الطوال وانا جالسة اناجي نفسي واتأمل في هذه الحالة الشقية التي لا اتمناها لاكبر المجرمين

ولما انتصف الليل جاءني رسول وسلمني رسالة من حبيبي يقول فيها : « هل حضر ولدك ؟ . . اني بحثتُ عنه طويلاً فلم اظفر به ولا اريد ان ازعجك بزيارتي الان فالى الغد » فكتبت على الرسالة هذه الكلمات : « ان جان لم يحضر بعد فيجب ان تجده »

ودفعتها للرسول

ولبثتُ جالسة في مكاني الى الصباح وانا انتظر رجوع ابني واتصوَّر تصورات مخيفة كادت تخطف انفاسي وتعدمني عقلي. وفي اليوم التالي أُصبتُ بحمى محرقة وعقبها اختلال في دماغي فلزمت الفراش بضعة اسابيع وانا في غيبوبة متواصلة لا اعي شيئاً مما حولي وكان خدمي يعتقدون بجنوني وقد استدعوا لعيادتي جميع اطباء البلدة فعالجوني وشُفيت ولما عدت الى رشدي رايت في غرفتي حبيبي جالساً بازاء سريري كئيباً مغموماً فصحت به : اين الغلام؟

فنظر اليَّ بحزن ولم يجب

فقلتُ — هل مات او انتحر ؟

قال — لا اظن ذلك. وقد دققتُ البحث عنه في كل جوانب البلدة واعلمت الشرط بامره فلم اجد من وقف له على خبر

فصحت به — اغرب اذاً من امامي ولا تعد الى هنا الاّ والغلام معك

فخرج ولم اعد اراه. وقد مرَّ عليَّ عشرون سنة بعد ذلك لقيت فيها اشد العذاب والبلاء. انتظر الغلام واود ان اسمع شيئاً من اخباره. وقد ذهبت كل مساعيَّ سدىً. وها انيِ اموت الان مغمومة تعسة شقية فالويل لي. ولست اكتمك ان الحبيب

كان يكتب الي في هذه العشرين سنة يومياً و يتوسل الي ان اسمح له بمشاهدتي غير اني كنت ارفض طلبه بتمام القسوة والجفاء

هذه قصتي يا حضرة المحامي رويتها لك وانا اكاد اذوب غماً وحزناً. اريد ان اعرف اين هو ابني ؟ وهل هو يذكرني و يفتكر بي ؟ هل يعلم مقدار اليأس والعذاب الذي جلبه لي ؟ فما اشد قساوة البنين نحو امهاتهم. افما كان يجب عليه ان يصفح لي ويعود الي ؟ .. وها اني اتجرع الان كاس الموت وليس لاحد ان يدرأ عن قلبي الكسير ما يلقاه من اليم الاحزان

واذا ظفرت به فارجوك ان تقول له : « لا تكن قاسياً بهذا المقدار نحو الضعف البشري . وان انت لم تصفح لوالدتك في حياتها فاصفح لها في مماتها لانها كابدت امر العذاب »

...

ثم ارتعدت المحتضرة وظهرت صفرة الموت على وجهها فقالت :

وقل له ايضاً اني لم ار ذاك الرجل كل هذه السنين الطويلة ... والان اسألك ان تتركني اموت وحدي اذ ليس منهما احد بازائي ...

...

فتركتها وخرجت وانا لا املك عيني من البكاء وقد اثرت بي حكايتها تاثيراً مزعجاً للغاية وطفقت من ساعتي البحث عن هذا

الغلام ولم اعثر به الى الان . واني اودّ من صميم القلب ان احظى به يوماً لادعوه مجرماً وقاتلاً

الامهات

ما من امة في العالم المتمدن الاّ وتعرف تأثير الامهات في الاولاد وراثةً وسيرةً وتهذيباً حتى صارت هذه المعرفة من الحقائق الراهنة والعقائد الراسخة . الا ان ذلك متفاوت حسب تقدم كل امة في الحضارة والمدنية

ولنكد الطالع اننا نرى في اكثر بلادنا الشرقية عكس ذلك فلقد رسخ في اذهان السواد الاعظم من العامة وفريق ليس بقليل من الخاصة ان واجبات الام نحو اولادها انما هي اطعامهم وتجهيز ملابسهم وما كان من هذا القبيل ولهذا السبب يتقاعد اكثرهم عن تهذيب امهات المستقبل زاعمين ان في تعليمهنّ مجلبة لضروب المحن وسائر انواع الشقاء . غير انهم بزعمهم هذا قد اخطأوا المرمى وشطوا كثيراً وذلك لانه قد تقرر بالملاحظة والاختبار ان سلامة المجتمع الانساني وراحته وسعادته متعلقة بترقي جنس النساء الى درجة العلم والكمال . فعليهنّ جل الاعتماد بنجاح البلاد وهنّ قائدات الانسانية ومرقيات البشرية . ولا جرم

ان كل قوم لم يمهدوا سبل التعليم والتربية لنسائهم لا يزالون حتى الان يخبطون في دياجي الضلال · وبعكس ذلك الامم الراقية في سلم التمدن والنجاح فان المرأة كانت سبب نجاحها وعلة تقدمها· قال لامرتين — اذا اردنا الاطلاع عَلَى حالة احدى الممالك سياسياً وادبياً علينا ان نعرف اولاً حالة النساء فيها· وقال احد اكابر زعماء السياسة : ان ترقي الامة يتوقف على همم النساء اكثر منه على همم الرجال · ولله درّ من قال : ان التي تهز السرير بيسارها تهز الارض بيمينها· وسأل بعضهم نابوليون الاول: ما اعظم ما تحتاج اليه فرنسا ؟ فاجاب : الامهات· وقد عنى بذلك الامهات الحقيقيات الشديدات العزائم السديدات الاراء التي تحتاج اليهنّ كل امة مهما كانت راقية في التمدن

لا ريب ان واجبات الام نحو اولادها لا تنحصر في امر الطعام واللباس فقط بل تتناول مهمات اخر هي اسمى واجل· وغنيٌّ عن البيان ان معظم ما يعتاده المرء وينشأ عليه من مليح او قبيح هو من انعكاس تأثير الوالدة ارثاً وتدريباً وكل ما يحفظه عن والدته من الصفات والاخلاق في حال صغره يبقى مرتسماً عَلَى مخيلته زمناً طويلاً ·قال لامرتين: ان المبادىء التي تغرسها الام في عقل طفلها ترسخ فيه وتنمو بحيث تتقوى عَلَى عواطفه الخاصة· ومن اجال طرفه في التاريخ رأى امثلة كثيرة جاءت مصداقاً لما

سبق . فانّ كثيرين من المشاهير نبغوا في العلوم وامتازوا بالآداب والفضائل وغيرها بتشجيع امهاتهم لهم بالحب والحكمة وتأثيرهن فيهم بالمعاشرة والسيرة وما اشبه ذلك كما ولنا ايضاً مُثُل كثيرة علَى تاثير الوالدات الرديئات وراثة وقدوة وتطبعاً . والدليل علَى كل ذلك هو ان الام تعامل اولادها بما تكون منطوية عليه وتهذبهم بمقتضى الروح الذي تهذبت فيه وهكذا فان كانت حكيمة فاضلة صالحة تغرس في قلوب اولادها بذار المحبة والفضيلة والصلاح وتقودهم الى الكمال الانساني وعلى هذه الصورة تكون روح منزلها وملاك ذويها بخلاف المراة الجاهلة الضعيفة العزم الغائلة الاراء التي تكون ينبوع التعس ومصدر البلايا والاسقام . فبينا الاولى (العاقلة) توطد اركان بيتها وتقوي دعائمه بما تنفخه في جميع ذويها من روح المحبة والاداب والفضيلة تكون الثانية (الجاهلة) كزلزلة تهدم اكبر البيوت واثبتها .

ولقد اجمع عظماء المهذبين على ان الولد مرآة امه . قال احد الفلاسفة : لا يأتي عظيم الى هذا الوجود الاّ وتكون قد سبقته اليه عظيمة وهي امه . وقال جان جاك روسّو : يكون الرجال كما تريد النسآء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فلتتعلم النسآء العظمة والفضيلة . وجاء في «الحديث الشريف» : الجنة تحت اقدام الامهات . ومما لا ريب فيه ان اكثر عظماء الرجال (اذا لم نقل كلهم) بلغوا

العظمة والفخار وتسنموا ذروة المعالي وملكوا ناصية المجد بمبادىء جليلة غرستها فيهم امهاتهم منذ صغرهم · ولقد حفظ التاريخ اسماء كثيرات من شهيرات الامهات اللاتي قدمن لاوطانهن جمهوراً من المشاهير لايزال شذا مآثرهم ومحامدهم متضوعاً في جميع الانحاء · ومن هؤلاء الشهيرات كورنيليا الرومانية وامهات المشاهير مرقس اوريليوس و بيار و كوفي وشيللر ومندلسون وشاتو بريان وليتري وميشلي وولترسكوت ونابوليون الاول وميلقوا ولينيوس وغوتي واللورد باكون ووسلي وواشنطون و كثيرين غيرهم · وقد تقوم مقام الام في هذا المعنى الجدة او العمة او الخالة او العرابة فتجدي المنافع الجمة يؤيد ذلك ترجمات المشاهير راسين و برناردن دي سنت بيير و برانجي وغيبون المؤرخ الانكليزي الشهير وغيرهم

***

اذا تتبعنا سير هؤلاء الافراد رأيناهم يشعرون بفضل امهاتهم ويتسابقون في اذاعة مآثرهن والاطناب بافضالهن · حتى انهم في احوال كثيرة كانوا يعزون اكثر المجد الحاصل لهم الى اعتناء والداتهم وتدريبهن · ولا يظن القارىء ان هذا الاكرام كان يقوم به فقط ذوو الاحساسات الرقيقة منهم · فان الفلاسفة والعلماء والقواد الموسومين بقساوة القلوب وجفاء الطباع كانوا ايضاً يجلون امهاتهم اي اجلال · وهاك ما قاله ابامينوندس البطل اليوناني الكبير عقيب

ظفره بالعدو : اني لاسر جداً لو كان ظفري في حياة والدي » . — وافضل من هذا ما قاله اسكندر المكدوني في اثناء زحفته على اسيا جواباً لانتيباطروس الذي اقامه الاسكندر حاكماً في مكدونية في مدة غيابه عنها . وكان انتيباطروس هذا قد انفذ رسالة الى ذي القرنين يشكو بها والدته فاجابه : ان عبرة واحدة من عبرات والدتي تمحو عشرة آلاف رسالة مثل هذه . — وقد شكر الامبراطور مرقس اوريليوس العظيم النعمة الممنوحة له من الآلهة لانه تمتع طويلاً ببقاء والدته وتوفق اخيراً الى اراحة شيخوختها . — ويفيد المؤرخ اجينار ان شارلمان الكبير كان عائشاً مع والدته « تحت سقف واحد » فضلاً عن الاعتبار العظيم الذي كان يقدمه لها « ولم تظلل حياتهما — حسب شهادة المؤرخ المذكور — ولا ضبابة صغيرة » وكذلك سان سيمون وبيڤون الشهيران فانهما على الدوام كانا يذكران والدتيهما بمزيد الاكرام . — ومن هذا القبيل ولدا كورنيليا الرومانية فانهما ما فتئا يعتنيان بوالدتهما ويبالغان في اعتبارها . — واغرب من هذا وذاك ما نراه في شخص الشاعر ميلفوا الشهير فانه دعي مرة لوليمة عند احد اكابر الموظفين فاجاب : اني مدعو . فسئل : وهل دعاك الامبراطور لمناولة الطعام ؟ فقال : كلا وانما والدتي دعتني اليها فلا يسعني الا التلبية . وكتب مرة الكونت جوزيف دي ميستر من بطرسبرج — كلما

افكر بوالدتي ابكي كطفل صغير — وكان مندلسون شديد الشغف بوالدته الى حد الافراط واتفق عقيب وفاتها ان جاءت نوبته للتمثيل فتذكرها فخرج حالاً من الملعب واطلق العنان لدموعه الغزيرة .

— والشاعر شيللر مشهور بشدة كلفه بامه وكانت هي تفتخر بتفانيه في حبها وقبيل وفاتها باركته وشكرته . — وكان المؤرخ ميشلي كلما تذكر والدته تترقرق الدموع من مقلتيه . وقصارى القول ان اعتبار الام كان من اكبر واجبات اعاظم البشر في كل عصر . وقد اقروا جميعهم بان نجاحهم كان متوقفاً على اعتناء امهاتهم وكاني بهم جميعاً يرددون كلام المؤرخ ميشلي حيث قال بمناسبة وفاة والدته ما تعريبه : « اني فقدت ليس فقط والدتي بل اعز صديق لديّ — قدوة صالحة ومنشطاً صادقاً في جميع واجباتي »

ومن مطالعة تراجم المشاهير نرى ان الآباء كانوا كثيراً ما يختارون لاولادهم صنائع وحرفاً لم يكن الاولاد ميالين اليها فكانوا بالطبع يتضجرون و يتبرمون لولا ان امهاتهم كنّ ينتشلنهم من هذه الورطات لمعرفتهنّ اميالهم واستعدادهم الطبيعي . فمن هذا القبيل العلاّمة بيك دي ميراندول فقد كان ممقوتاً من ابيه واخوته لانه لم ينخرط في سلك الحربية طبقاً لرغائبهم . اما والدته فلما رأته كلفاً بالعلوم نصرته ونشطته ففاز بمناه وصار عظيماً

وجاك اميو احد فحول القرن السادس عشر الذي تفتخر به

فرنسا وله في جميع انحائها المقام السامي والمكانة الرفيعة · فهذا شخص بالرغم عن ارادة ابيه الى باريس ليتلقى فيها العلم فاستاء ابوه من ذلك وحظر عليه العودة الى منزله متهدداً اياه باشد العقاب · اما امه فكانت تواصله سراً بجميع احتياجاته ولوازمه

والعلامة لينيوس النباتي المشهور فان اباه كان مصراً على تعليمه مهنةً لم يكن الفتى يرتاح اليها وقد منعه جمع النباتات وتهدده بحرق جميع كتبه في التاريخ الطبيعي اذا بقي على غيه · ثم لم يلبث ان سلمه لاحد الصناع وفوّض اليه تعليمه وتدريبه ومعاملته بالقسوة والجفاء · غير ان والدته كانت توقظه كل يوم الساعة الثانية بعد منتصف الليل فتناوله طعام السحر وترسله الى الحقول القريبة ليجمع ما طاب له من اصناف النبات على شريطة ان ينثني الى البيت الساعة السادسة صباحاً اي موعد قيام والده من النوم

والعالم مارمونتل كان ابوه قد عوّل ان يعلمه التجارة الا ان الغلام بمساعي والدته وارشاداتها سار في خطة اخرى وما عتم ان اصبح مشهوراً بالعلم

و برناردن دي سنت بير كان والده قد قنط من تعليمه الا ان عرّابته قاومت الوالد اشد مقاومة وانالت الفتى حظاً كبيراً وشهرة ذائعة

وولتر سكوت الشاعر المشهور كانت والدته من اكابر المولعين

بالشعر والتصوير

والشاعر غوتي العظيم لم ينبغ الا بتدريب والدته وارشاداتها

وشاتو بريان المشهور اتقن بعناية والدته اللغتين اليونانية واللاتينية واضحى المشار اليه بالبنان

واللورد باكون كانت والدته من الممتازين بالمواهب العقلية فامتاز هو ايضاً بها

والشاعر ديوسي جنح الى الشعر وبرّز فيه بتنشيط والدته ومقاومتها الوالده بهذا الصدد

والحقوقي ديديروت الشهير ظعن الى باريس ودرس في مدارسها العالية خلافاً لارادة والده بيدَ انه لم يقضِ لبانته من العلوم الا بمساعدة والدته فانها ما فتئت تبعث اليه بالنقود وسائر الاحتياجات حتى قضى وطره

و بنيامين وست فان قبلة من امه جعلته مصوراً وذلك انه وهو صغير رسم صورة وجه اخته وهي في مهدها وكانت الصورة قليلة الاحكام والاتقان فلما رأتها امه توقعت ان يشتهر بفن التصوير فانحنت عليه وقبلته وبهذا نشطته وكانت سبباً عظيماً لارتقائه واشتهاره

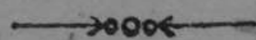
وباتخوفين الشهير فانه لو ظل متبعاً الخطة التي اختارها له والده لسقط في مهواة الشقاء غير ان والدته انقذته وقادته الى اقوم

والروائي بالزاك كان يعتبر اباه جاهلاً جميع عواطفه وامياله خلافاً لامه التي كانت تعرف كل ما يخامره من الافكار وتعضده

وفريدريك الكبير ملك بروسيا فانه وهو وليّ للعهد كان بشقاق دائم وخصام متواصل مع والده غير ان والدته دوروتيا المشهورة بحصافة العقل ووفرة الجمال كانت تؤيد اراءه وتصوّب معاكسته لمشيئة والده

وجورج واشنطون كانت امه من مشاهير محبي الانسانية والتقى وارباب الاخلاق الحسنة فشب ولدها على مبادئها

وان رمنا زيادة الامثلة في هذا الموضوع رأيناها وافرة يضيق المقام عن سردها فنقف عند هذا الحد وفي ما تقدم كفاية للدلالة عَلى فضل الامهات ووجوب الاعتناء بتربيتهنّ منذ الصغر لانهنّ اكبر نصير لاميال رجال المستقبل وهنّ اعظم مرشد ومنشط لهم في اعمالهم واجراءاتهم والذائدات عن حقوقهم على اختلاف انواعها وتباين جهاتها والقائمات في سائر امورهم وشؤونهم وصلاحهم فمهما وُصفنَ به فهنّ فوق الوصف وفوق الاطراء



صورة العذراء

تأليف كرستوف شميد الروائي الشهير

في قرية حقيرة صغيرة على ضفة نهر الدانوب في بلاد بافاريا كانت تسكن عائلة صياد سمك يدعى سمر . وكانت هذه العائلة موءلفة من ثلاثة اشخاص فقط وهم الصياد وزوجته وولد صغير لما يقال له اوغست . ولم يلبث الاب ان توفي تاركاً ارملته المسكينة تكابد شقاء هذه الحياة مع وحيدها الصغير . وكانت هذه المرأة مشهورة في تلك القرية بخصالها الحميدة وسجاياها الفريدة حتى لقبت بتيودورا التقية . وبعد موت زوجها عكفت عَلَى طفلها تربيه وتغذيه بلبان الصلاح والاداب والفضيلة حتى كان هذا الغلام منذ نعومة اظفاره مثال اللطف والظرف . ولما لم يكن للوالدة من تعتمد عليه في معيشتها جعلت تطلب خبزها بعرق جبينها . ولما كانت تلك القرية مسكناً لصيادي السمك اخذت تصليح الشباك حرفة لها . وكانت تداُب في عملها سحابة النهار بدون تذمر او ضجر

وفي احد ايام الربيع الجميلة جلست تيودورا بالقربُ من كوخها تحت سنديانة قديمة العهد واخذت تصلح بعض الشباك التي بين يديها وقد ارسلت ابنها الى غابة قريبة ليأتيها بشيء من الجوز

البري لتستخرج منه زيتاً للاضاءة . ولما انتصف النهار عاد اوغست و بيده سلة ملآنة من تلك الاثمار . فرحبت به والدته وقامت اليه فضمته الى صدرها الملتهب بنار الحب الاموي وقبلته قبلة حارة ثم اجلسته تحت الشجرة وقدمت له شيئاً يأكل . ولما فرغ الصبي من الاكل رأت والدته اثار التعب والنعاس بادية عَلَى محياه الجميل فاضجعته تحت السنديانة وذهبت في قضاء بعض حاجاتها ولم تفطن لابنها الا بعد اربع ساعات فاسرعت مهرولة اليه ولكن يا للخيبة فانها لم تجده تحت الشجرة حيث تركته نائماً فظنت انه ربما ذهب الى الغابة ليجمع جوزاً ولا يلبث ان يعود . فجلست تنتظره وكانت الشمس قد اذنت بالمغيب فهلع قلبها و بادرت الى الغابة تفتش عنه فلم تجده فصعقت المسكينة وصارت تناديه باعلَى صوتها وهي تدور من مكان الى اخر ثم جرت الى النهر وهي تارة تتصور ابنها غريقاً فيقف شعر راسها و يجمد دمها وطوراً تظنه عند الصيادين فيعاودها الامل بلقياه . ولما لم تحظ به ركضت الى القرية وقد علا نحيبها فتراكض اليها الناس وودوا مساعدتها واغاثتها ولم يلبثوا ان تفرقوا في تلك الجهات يسالون و يبحثون و بعضهم ركبوا الزوارق واخذوا يفتشون عنه في النهر . غير ان بحثهم قد ذهب عبثاً فعادوا كاسفي البال وقد ايقنوا بحدوث مصاب عظيم ولكنهم قالوا للوالدة المسكينة ان التفتيش في مثل هذا الليل لا يفيدهم

شيئاً وما عليها الا ان تستسلم لله وتعتصم بالصبر الى الصباح .

وليس للقلم ان يصف حالة هذه الام البائسة وقد تصورت ابنها في مخالب احد الضواري او غريقاً في مياه الدانوب . فصاحت وناحت ونادت بالويل والثبور وكادت تفقد عقلها . غير ان بعض اصحاب الرأفة من القرويين اخذوها الى كوخها قسراً وهم يعللونها بمشاهدة ولدها في صباح الغد ويعدونها بالبحث عنه في كل مكان . فعادت المسكينة الى كوخها وهي تسكب العبرات وتصعّد الزفرات وما كادت تدخله حتى ضاقت الدنيا في وجهها وحسبت ذلك الكوخ جحيماً ابدياً فعادت الى النواح والبكاء حتى جفت مآقيها من الدموع

وظلت تيودورا جالسة في كوخها تنتظر الصباح وهي على مثل الجمر وما صدقت ان انبثق نور الفجر حتى خرجت واسرعت الى النهر لعلها تجد شيئاً من اثار ابنها او تعلم عنه خبراً وظلت تسير في تلك الجهات على غير هدى واخيراً عادت الى كوخها حزينة النفس خائرة العزم كاسفة البال منكسرة القلب وقد حزن لحزنها جميع القرويين وكانوا يترددون عليها يسلونها ويوءسونها . وكان في القرية كاهن جليل محترم من الجميع يقال له الاب مرتين . فلما سمع بمصيبة تيودورا المنكودة الحظ شعر بثقل مصيبتها فبادر لتعزيتها وقدم لها صورة تمثل العذراء في حالة حزنها والسيف مخترق قلبها

وقال لها: لتكن هذه الام مثالاً لك في حزنك فهي ايضاً قد ثكلت ابنها و تمسكت بعرى الصبر الجميل · فسلمي انت ايضاً امرك لله ولا تجزعي · نعم انك فقدت ابنك الان فسترينه بعد حين ان شاء الله وتضمينه الى صدرك كما ضمت العذراء ابنها بعد القيامة · واني اسمع هاتفاً داخلياً يقول لي ان ابنك سيرد اليك كما ردَّ يوسف الى يعقوب · فاتكلي على رحمة الله وشفقته لان شعرة من رؤوسنا لا تسقط بدون ارادته المقدسة

فاخذت تيودورا الصورة من يده وقد تعزت بكلامه بعض التعزية ولما انصرف من عندها قامت فانطلقت الى حيث كان ابنها نائماً اخر مرة وثقبت في ساق السنديانة ثقباً بقدر حجم الصورة ثم وضعتها في الثقب وواريتها عن الابصار وكان مكتوباً على الصورة بيد الكاهن هذه العبارة: « تذكار تعزية من الكاهن مرتين لتيودورا سمر في يوم فقدها ولدها اوغست البالغ من العمر خمس سنوات والمولود سنة ١٤١٣ »

وكانت تيودورا تزور كل يوم هذا الموضع وتبلل ثراه بدموعها وهي تتذكر طفلها المفقود وتسأل الله ان يلهمها الصبر و يجمعها به ان كان حياً و يلحقها به ان كان ميتاً

*

نترك الام في حزنها و بكاها ونذهب بالقارىء الى فينا

عاصمة النمسا حيث كان اوغست مقيماً في قصر فخيم متمتعاً باطايب الحياة ورغد المعيشة . ولكن كيف وصل الى هذا المكان ؟

فقد تركناه نائماً تحت السنديانة التي بازاء كوخ والدته . فلما استيقظ قبل العصر ولم يجد احداً حوله أخذ سلته وعاد مرة اخرى الى الغابة ليملأها ثانية من الجوز البرّي . و بينا كان يجول من شجرة الى اخرى حانت منه التفاتة الى جهة النهر فرأى فيه مركباً شراعياً فاسرع ليمتع بصره به . ولما بلغ ضفته راى هناك جماعات من الناس يتنزهون و كلهم بالالبسة الثمينة الموشاة بالذهب فوقف منذهلاً مبهوتاً وهو لا يكاد يرفع بصره عنهم وقد رأى بينهم اولاداً صغاراً بسنه وهم يركضون من جانب الى جانب والسرور يرنح اعطافهم ولم يلبث اوغست ان دخل بينهم وامتزج بهم واخذ يريهم سلته و يوزع عليهم مافيها من الجوز والاثمار وهم يقدمون له بعض مامعهم من انواع الحلوى والماكولات ثم شرعوا يلعبون معاً كانهم اصحاب عام لا اصحاب ساعة وقد مال اوغست عَلَى الاخص الى طفلة صغيرة بسن الخامسة من عمرها اسمها انطوانت وهي ايضاً احبته وسرّت بهِ ودعته ليصعد معها الى المركب لتريه هناك لعبها الجميلة وكان ذلك اشهى رغائب اوغست ولم يكن الاّ بضع دقائق حتى كان عَلَى ظهر المركب ورفيقته تجول به من مكان الى آخر وهو ينظر الى كل شيء حائراً مبهوتاً ولم ينتبه احد لامره بل ظنوه ابن احد الركاب المسافرين و بقيت

الحال هكذا الى ان احتجبت الشمس وراء الافق وجعلت جيوش الظلام تطارد اشعة الشمس الاخيرة · فرفع المركب مرساته وسار جهة الجنوب · فانتبه اوغست والتفت الى ما حوله فشعر بوحشة استولت علَى قلبه وتذكر والدته وما عتم ان رفع صوته بالبكاء · فاستغرب الحضور امره واحدقوا به يسالونه عن اسمه واسم اسرته ومن اين هو · وهو يجيبهم ان اسمه اوغست ووالدته تيودورا وانه من القرية · وبلغ هذا الامر ربان المركب فجاء متعجباً واخذ يسال الغلام اسئلة مختلفة وهو لا يزيد على ما تقدم من الاجوبة الى ان عيل صبر الربان والنوتية والركاب وادركتهم الشفقة علَى هذا الطفل الذي كان بكاؤه يفتت الاكباد ويسيل المدامع · ولما لم يكن سبيل الى معرفة اسرة الغلام او الاهتداء الى بلدته (القرية) كما كان يسميها اخذ الركاب يتباحثون في الامر ويتساءلون عمن تدركه الشفقة فيأخذ الغلام ويعتني بشانه الى ان يحظى بوالديه · وكان بينهم رجل من اعيان البلاد ونبلائها يقال له ڤال وهو ابو تلك الطفلة الصغيرة التي اغوت اوغست بالصعود الى المركب ولم يكن له سواها فكانت كعبة اماله ونقطة امانيه ولم يكن ليتأخر عن تلبية شيء من مطالبها · وان هذه الطفلة لما ابصرت اوغست يبكي وينتحب احمرّت عيناها وشاركته بالبكاء وهرعت الى والدها وهي تشرق بدمعها وتشير الى اوغست

فانفطر قلب فال حينما راى دموع طفلته وقام من ساعته فاخذ الغلام وجعل يطيب خاطره ويلاطف من احزانه وما زال به حتى نسي الغلام حزنه وتلاهى باحاديث رفيقته ولعبها . وكان لفال زوجة شريفة المبادىء رقيقة القلب تحب اغاثة الملهوف والشفقة على البائس . فلما ابصرت اوغست وتاملت في حالته وبؤسه عطفت عليه واخذت تمسح دموعه بيديها وتقبل وجنتيه المحمرتين وتقول لا تجزع يا اوغست فانا امك وابنتي انطوانت اختك . ولم تلبث ان خلعت عنه اطماره والبسته ثياباً جديدة فظهر بها اوغست بجماله الرائع وطلعته البهية

وبعد مضي يومين كان اوغست في فينا في قصر فال وكان يقضي ايامه مع انطوانت كانهما روحان في جسم واحد . فكانا يأكلان معاً ويلعبان معاً ولم يكن للضجر سبيل الى قلب انطوانت برفيقها الجديد وقد رأى الاب وزوجته ذلك فزادا محبةً لاوغست وتعلقاً به حتى صمما ان يتبنياه اذا لم يقفا على خبر من اهله

وكان لفال تجارة واسعة وعنده جمهور من المستخدمين فلما ترعرع اوغست كان يرافق فال الى مخزنه ويقضي وقتاً بين العمال في التدرب على الاشغال حتى مهر بها واظهر من الحذق والتفنن ما ضاعف محبة فال اليه فسلمه ادارة اعماله وكان يراقبه ويمتحن امانته ولم يلبث ان ايقن انه نعم الرجل . وقد ذاعت شهرة تجارة فال وتضاعفت مكاسبه ونمت ثروته نمواً عجيباً وكان لا يفتأ من

اصطناع المعروف وخدمة البلاد والاكتتاب بالمبالغ الوافرة اعانة للجيوش في اثناء الحرب الدموية التي لم تضع اوزارها الا بعد ثلاثين عاماً من شبوبها · وكان الامبراطور مكسيميليان قد سمع بهذه الاعانات الغزيرة التي كان يقدمها فال ومدير اشغاله اوغست فمنحهما القاب الشرف ورفع منزلتهما الى اعلى طبقات النبلاء والاشراف

وهذا ما كان يرجوه فال لانه كان يحب اوغست محبة لا تقل عن محبة الاباء لابنائهم وقد رأى فيه شهامة نادرة وخلالاً طيبة لم يرها في احد غيره ممن كانوا يترددون على منزله من اولاد الاعيان والامراء وفضلاً عن ذلك كان يرى ايضاً عرى المودة الحقيقية تزداد تمكناً وارتباطاً بين اوغست وانطوانت حتى لم يكن الواحد منهما يعرف سعادة الوجود الا بازاء الاخر فلم يرَ فال شريكاً لحياة ابنته افضل من اوغست ولم تكن الفتاة لتخفي عواطفها عن ابيها وتصميمها على اتخاذ اوغست رفيقاً لحياتها

وكان فال قد ادرك سن الشيخوخة وبلغت انطوانت الحادية والعشرين من عمرها فزفها الى اوغست في حفلة باهرة وسلمه زمام الامور وتنازل له عن سائر املاكه وثروته ولم يمض بعد ذلك زمن طويل حتى توفي هذا الرجل الشيخ وامراته راضيين عن دنياهما قريري العيون بولديهما

وظلّ اوغست يزداد ترقياً ونجاحاً ويزداد اسمه شهرةً

وانتشاراً حتى بلغ مكانة رفيعة بين التجار والمتمولين · وكان لزوجته خير قرين لا يهمه الا رضاها وسعادتها ولا سيما بعد وفاة والديها وانه حباً بتسليتها اخذها وجعل يطوف بها من مكان الى اخر وقد زارا اكثر الجهات المحيطة بفينا وتنقلا على ضفاف الدانوب في اماكن مختلفة · وفي اثناء ذلك رغبت انطوانت الى زوجها ان يشتري قطعة ارض على الدانوب بعيدة عن فينا الكثيرة الضوضاء و يبتني بها قصراً لتمضية فصل الصيف كل سنة شأن سراة القوم واعيانهم · فما ابطأ اوغست ان ابتاع الارض التي وقع اختيار زوجته عليها و بنى فيها قصراً شائقاً

وكانت البقعة التي اختارتها انطوانت تخص فيما مضى جماعة من القرو يين الفقراء الذين نابتهم الحروب باذاها فهدمت اكواخهم وجعلتها اطلالاً · وان هؤلاء القرو يين بعد نهاية الحرب المشار اليها جاءوا افواجاً افواجاً يلتمسون من اوغست ان يأذن لهم بالاقامة في ارضه ومعاطاة حرفتهم صيد الاسماك فأذن لهم وكان فوق ذلك يساعد الفقراء منهم في كل فرصة

وكان على جانب تلك البقعة غابة واسعة كان الفلاحون فيما سبق يحتطبون منها فلما صارت تلك الغابة ملكاً لاوغست حظر وكيله على الفلاحين الاحتطاب منها فجاءوا وشكوا امرهم الى اوغست وسألوه الاحسان اليهم فقابلهم بالرضى والشفقة وضرب لهم موعداً

يجتمعون فيه و يأخذون من الحطب كلٌّ بقدر حاجته . وفي اليوم المضروب ذهب بنفسه الى الغابة حيث اجتمع اكثر القرويين وامر بتوزيع الحطب عليهم . وان هو لكذلك جاءت اليه عجوز مسنة قد احنت الايام ظهرها و بيضت شعرها وسألته ان يسمح لها بتقطيع سنديانة قديمة العهد اشارت اليها . فلما رآها اوغست تحركت في قلبه عواطف الشفقة والحنو وقال لها : لك ما طلبت يا خالة و بما انك طاعنة في السن وضعيفة فانا آمر خدمي بتقطيع هذه السنديانة لكِ ونقلها الى حيث تريدين

ولم يكن الا القليل حتى اعمل الخدم فوءوسهم في تلك الدوحة العظيمة . وانهم لكذلك اذ هوى فاس في ساق الشجرة على فراغ تحت قشرة رقيقة منها وظهر ثقب فيه شيء يلمع . فانتزعوا القشرة بتأنٍ واذا بصورة متقنة الصنعة ذات اطار جميل تمثل صورة العذراء في حالة حزنها الشديد والسيف مخترق قلبها . فلما ابصر الفعلة ذلك علا الضوضاء بينهم اذ كان كلٌّ منهم يريد ان يستأثر بهذا الكنز دون رفاقه . واتفق ان اوغست مرَّ من هناك فدعا انتباهه جلبتهم وصياحهم فدنا منهم ولما علم السبب اخذ الصورة بيده وجعل يتأمل فيها ولم يلبث ان ظهرت البغتة في وجهه لانه قرأ عليها الكلمات الآتية :

« تذكار تعزية من الكاهن مرتين الى تيودورا سمر في يوم فقدها ولدها اوغست البالغ من العمر خمس سنوات والمولود

سنة ١٤١٣»

وللحال ارتجفت يداه وخفق قلبه خفوقاً شديداً وقد رجع بفكره الى سني حداثته وتذكر والدته تيودورا وكيف انه صعد الى المركب واتخذه حموه ولداً له · ثم صارت حوادث الصغر تتجسم اكثر فاكثر في مخيلته فتذكر الكوخ الذي كان يأوي اليه مع والدته ونظر الى القرب من السنديانة فرأى انقاضه ولم يشك في شيء · وبالرغم عن تجلّده دمعت عيناه وودّ ان يعرف اين هي والدته الان وهل هي حية ليبحث عنها ويضمها اليه ويستغفرها عما سببه لها طيش الحداثة من الاحزان التي لاحدّ لها ··

ثم امعن في الخيال وقد لذّ له هذا التأمل · واذا بالمرأة العجوز قد دنت منه وقالت له بصوت تخنقه الدموع : مولاي ان هذه الصورة التي بيدك هي لي وهذا كل ما املك من حطام هذه الدنيا فجد بها عليّ لانها تذكرني بولدي وفلذة كبدي الذي فقدته الى الابد بحالة عجيبة · فارتعش اوغست وبان الاضطراب الشديد في وجهه فقال لها — كلا يا سيدتي فهذه الصورة لا تخصك بل تخص امرأة تدعى تيودورا سمر كما يُرى ذلك مكتوباً عليها · قالت نعم يا سيدي فانا هي هذه المراة البائسة المترامية علَى قدميك تسألك ان لا تحرمها آخر تعزية لجراح قلبها · ولما سمع اوغست ذلك لم يعد يشك في ان هذه المراة هي هي والدته وانه ولدها

المفقود وجعلت الدموع تنحدر من مآقيه ثم تجلد وقال لها — ان قصتك عجيبة ايتها المراة فهل لك ان تسرديها لي بتفاصيلها؟ فاخذت تشرح له تاريخ حياتها الى يوم فقدت ابنها وذكرت له ما مرّ بالقارىء من امر هذه الصورة. ثم قالت — ولما نشبت الحرب اضطررت ان اترك هذه البقعة المحبوبة والتجيء الى ما وراء جبال الالب حيث كنتُ اقضي ايامي بالنوح والبكاء ولما انتهت القلاقل والاضطرابات عدت الى هنا فلم اجد كوخي لانه تهدم ولم اهتدِ الى السنديانة الى ان تمّ ذلك على يدك ايها المحسن العظيم . وكان اوغست عند سماعه هذه الاخبار قد نسي حالته فاخذ منديله وجعل يبكي كطفل ووقف الفعلة مبهوتين وقد نسبوا بكاءه الى رقة قلبه وشعوره وحزنه على هذه العجوز البائسة . وبعد قليل اخذها جانباً وجعل يقص عليها اخباراً سارة وقد ذكر لها ان ابنها حي يرزق وانه ذو ثروة طائلة وقد بحث عنها طويلاً فلم يجدها . فلما سمعت تيودورا ذلك صاحت : اين هو؟ اين هو؟ فقال لها — هو قريب من هنا وذاك هو قصره واسمه اليوم اوغست قال ..

فحدّقت تيودورا في وجهه ثم تراجعت بغتةً الى الوراء وهي لا تصدق ما تسمع . ولما تحققت انها في يقظة وان الذي تسمعه ليس اضغاث احلام وقعت علَى عنق ابنها تعانقه وتغسل وجهه

بدموعها وهي تشكر الله على هذا الاتفاق الغريب · وكان الفعلة والقرويون قد تألبوا حولهما وما فيهم الا من بكى تأثراً

*

وصلت الاخبار الى قصر اوغست وسمعت زوجته بان والدته فلاحة فقيرة تقطن كوخاً حقيراً فسرّت بهذا اللقاء العجيب ولم تحتقر نفسها بكونها زوجة ابن فلاحة بل قامت فارتدت احسن ثيابها واخذت ولديها يوسف ووليم وخرجت بهما من قصرها لملاقاة حماتها وحالما قابلتها عانقتها وهنأتها والحضور ينظرون اليها معجبين بنبل اخلاقها وعلوّ نفسها

ثم عادوا كلهم الى القصر ومنه بعد ايام الى قصرهم في فينا حيث قضت تيودورا باقي ايامها باتم الهناء وارغد العيش

(ملخصة عن الالمانية) جبران مطر

التاريخ

— منفعته واقسامه —

التاريخ هو العلم الذي يبحث عن الارض وسكانها اجمالاً ويدوّن احوال الامم واعمالها او بالحري هو فنٌّ يبحث عن سير الجنس البشري وارتقائه الى قمة الحضارة والمدنية (بعد ان كان سابقاً تائهاً في فيافي الضلال وغارقاً في بحار الجهل والتوحش) ويبحث

ايضاً بحثاً دقيقاً عما طرأ عليه من التنقل من حالة الى سواها وما صادفه من تلك التغيرات والانقلابات وذلك تخليداً للذكر وذكرى للخلف عما جرى مع السلف

ومنفعته لا تنحصر بفئة من البشر دون غيرها بل تعم جميع افراد الهيئة البشرية ولذلك لم يستطع احد ان ينكر ما له من الفائدة الجلى التي تنتج لكل من طالع هذا الفن الذي هو اهم علم والذ درس يجمع بين الفائدة الفكاهة

لا يخفى عليك ايها القارىء اللبيب بان من شان الاطباء تشخيص وتدقيق كل ما يطرأ على الامراض الجسدية · فالنطاسي المدقق بواسطة تشخيصه ومزاولته التجارب والعمليات الطبية اللازمة والعائدة نتيجتها الى شفاء السقماء يكتسب ملكة وضعية بمداومته على صناعته · كذلك شان النطاسيين السياسيين او الاطباء التاريخيين الذين يقتفون آثار سير السلف و يقفون تماماً على احوال الماضي فان راوا اعمالهم حسنة تليق ببلادهم يبدون حالاً اراءهم «بعد جس النبض» و يستنهضون همم الشعب و يحضونه و يحرضونه على ممارسة اعمال السالفين الاولين · و بالعكس اذا وقفوا على سيرة ذميمة لم توافق ذوقهم يشيرون سريعاً الى ذلك باهراق نقطة من الدم الاسود على صفحات الجرائد الوطنية حذراً من السقوط في احد اشراك الجهل والانحطاط

فاجبني ايها القارىء الحبيب : كيف وصلت الينا الاخبار

عن ابائنا الفينيقيين الاواين الذين رفعوا بلادنا قديماً بعدان طافوا البحار وعمروا السفن وجالوا كل المدن الساحلية التي على شاطىء المتوسط والاتلانتيك وادخلوا الحراثة الى سيرين ومنها الى الجزيرة وتوطنوا كورسيكا واجتازوا جبل طارق وادخلوا الاحرف الى بلاد اليونان وتاجروا مع قبائل الادوميين والسابانيين واليهود والارمن والعرب.

ومن اين عرفنا بانهم استخرجوا الصباغ المعروف بالارجواني واكتشفوا صناعة الزجاج ؟ اليس هو من ذاك الفن الذي كانت الامم السالفة تجلّ مقامه وتحرص عليه حرصها على الكنوز النفيسة والذي قال عنه شيشرون الروماني الشهير «بانه شاهد الازمنة ونور الحقيقة وحياة الذكرى وحاكم العمر وبريد القرون ..» افلا يجدر بنا وهذه منزلة التاريخ من العمران ان نحرّض ابناء الوطن العزيز لاقتباس هذا الفن وادخاله بين الدروس الاولية في المدارس لانه هو عمدة العلوم واليه يؤول كل تقدم ونهضة ونجاح في الكون العمراني ؟

ويقسم التاريخ الى ثلاثة ادوار. الاول يبتدىء منذ الخليقة الى عام ٤٧٦ للميلاد المسيحي وهو ينبئنا عن تاريخ مملكة الصين العظيمة ومملكة المصريين القدماء ودياناتهم وملوكهم واخبار الفينيقيين وبابل واشور والفرس واليونان والرومان. واهم ما يذكره لنا التاريخ في هذا الدور موسى وكنفوشيوس وبوذه

وسقراط وافلاطون وشيشرون وذيموستين وصولون وغيرهم من المشترعين والفلاسفة والخطباء وكورش واسكندر وهنيبال وانيلا وغيرهم من الفاتحين والغزاة . واما الدور الثاني فهو من عام ٤٧٦ الى ١٤٥٣ وهو يحتوي على تاريخ المدة التي تتخلل بين سقوط رومية وافتتاح القسطنطينية وكيف كانت الامبراطورية الشرقية وعن ظهور شارلمان الكبير وعن الحروب الصليبية التي جرت الويل والدمار لبلادنا ورفعت بلاد الفرنجة الى ذروة التمدن والنجاح وعن الحروب الدينية التي جرت بين الباباوات والبروتستانت وعن تاريخ الدولة العثمانية وسلاطينها الاولين الى الزمن الذي فيه افتتح السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية وعن محاربات ايطالية وافتتاح انكلترا وما شابه ذلك .

واما الدور الثالث فيبتدئ من سنة ١٤٥٣ الى يومنا هذا ويسمى تاريخ القرون الحديثة وهو يشتمل على الثورات الاوروبية وظهور الرجال العظام مثل فولتر (سنة ١٦٩٤) ومونتسكيو (١٦٨٩) وجان جاك روسو (١٧١٢) الذين كانوا يستنفذون جهدهم في استمالة قلوب الشبان بكل ما لديهم من الوسائل حتى نالوا امنيتهم وخلصوا وطنهم العزيز من استبداد القساة الظالمين .. وعن ظهور طغمة الجزويت وتحرير اميركا من ربقة الانكليز وتاريخ بقية الدول الاوروبية وعلى الاخص حروب نابوليون العظيم واسره ونفيه الى

جزيرة القديسة هيلانة ووفاته هناك سنة ١٨٢١ وغير ذلك من التواريخ التي تلذ المطالع وتعود عليه بالنفع العظيم

وسنشرح في وقت اخر عن اهم الحوادث واشهر الرجال العظام الذين نبغوا في كل من ادوار التاريخ الثلاثة وموعدنا قريب ان شاء الله (طرابلس) اندراوس ..

المنفي

ذهب المنفيُّ والحزن اتقد في حشاه تائهاً دون عضد
راح يطوي البيدَ لا يبغي احد غير ربٍّ بات للدنيا سند
احدقت عين الملا فيه وقد قطرت عيناه غماً وكمد
انما المنفيُّ بالحزن انفرد

مالت الشمس مساء للمغيب واتى من بعدها الليل الرهيب
ودخان الحزن يعلو كالرقيب صاعداً من جوف وادٍ او كثيب
لونه من حالة المنفي استمد حالة كانت من الموت اشد
انما المنفي بالحزن انفرد

قال في نفسه والقول اعاد ذكر ايام غدت عنه بعاد
ذكر الاهلَ وارباب الوداد بعد ما جاب قفاراً ووهاد
بعدما يوم الهنا عنه ابتعد واسال الذكر دمعاً فارتعد
انما المنفي بالحزن انفرد

يا ضباب الجو يا محيي الزهور ‏ بندى يندى اذا البحت سحور
مزّقتك الريح والريح تجور ‏ مثلما جارت علَى قلبي الصبور
فهواها مساءه حتى الابد ‏ ماله سلوى ولا يانمى مدد
انما المنفي بالحزن انفرد

هذه الاشجار ربات الثمر ‏ هذه الازهار مسك وغرر
ذي مياه من لجين ودرر ‏ غير اني لم اراها من صغر
في رياض فوقها بدري زصد ‏ وعلى افنانها طيري رقد
انما المنفيُ بالحزن انفرد

سمعت اذناي صوتاً مطربا ‏ قد اهاج الخاطر المضطربا
وفوءادي زاد منه لهبا ‏ بين حزن وسرور قلبا
لهف نفسي فهنائي لايرد ‏ كيف اسلو من عن العين ابتعد
انما المنفي بالحزن انفرد

احدق الاولاد في شيخ طعن ‏ في سنيه وراى فيها المحن
ليس منهم من دعاني في الاحن ‏ بابيه او اخيه او ومن
انت ياصاح وما منهم احد ‏ رمق المنفي ولا الحال عضد
انما المنفي بالحزن انفرد

عن بعيد شمت ربات الادب ‏ باسمات عن ثغور كالحبب
سائرات مع حبيب قد طلب ‏ قربهنَّ الدوم والقلب كتب
ليس ما يفصلنا حتى الابد ‏ ليس الاّ فصل روح عن جسد

انما المنفي بالحزن انفرد

لاشقيق ارتجيه لا اب　لامحب ثم بعدي يندب

لاصديق محسن لي ينسب　فوجوه الخل عندي يصعب

بين قومي لم أجد منهم احد　فلمذا الانسان بالحزن انفرد

يا الهي كن الى المنفي سند

حنا قصاص

التاج الزمردي

حدث في ذات يوم من ايام شهر شباط وكان البرد قارصاً والثلج ينهمر بغزارة ان شرلوك هولمز كان جالساً في غرفته مع صديقه الدكتور وطسن يتحادثان و يتذاكران . وفي اثناء الحديث حانت من شرلوك التفاتة الى الشارع المكسو بالثلج وقال لصديقه — انظر يا وطسن اني ارى رجلاً تائهاً في الشارع ولا اخاله الا معتوهاً و يسوءني ان اهالي امثال هذا الرجل يتركونهم يروحون ويعدون في طول المدينة وعرضها بلا رقيب

فاطل وطسن من نافذة الغرفة فرأى رجلاً يسير على غير هدى وهو يفرك يديه و يهز راسه و يخبط الارض بقدميه . فاستغرب امره وقال لجليسه — اراه يلتفت يمنة و يسرة كانه ينشد ضالة يريد بلوغها . قال — بلاشك وما ضالته الا نحن لان

امره في غاية الاهمية والخطورة

وما كاد شرلوك يتم كلامه حتى دُفع باب الغرفة بعنف ودخل منه رجل في منتهى التهيج والاضطراب · فرحب به شرلوك وقدّم له كرسياً فجلس ثم لم يلبث ان وثب واقفاً على قدميه وضرب الجدار براسه · فقام شرلوك اليه واجلسه وجلس الى جانبه وهو يطيب خاطره و يعده بكل مساعدة * وما زال به حتى سكن روعه واطمأنّ باله فتنفس الصعداء وقال — لابد انكما حسبتماني مختلّ الشعور · فقال شرلوك — لا بل اراك في قلق وخوف

— هو ما تقول يا سيدي فقد فاجأتني مصيبة كادت تذهب برشدي وتفقدني عقلي

— التمس منك ان تعرفني بنفسك اولاً ثم تقص عليّ حديثك بالتفصيل

— انا اسكندر هولدر المثري الشهير واظن انك سمعت بهذا الاسم قبل الان

— نعم سمعت به فانت اذاً من اهم اصحاب الاسهم في بنك لندن

— صدقت فارعني الان سمعك لافضي اليك بهذا الامر الهائل الذي دهمني فحرمني لذة عيشي واضطرّني ان اجيء اليك تحت هذا الثلج الغزير : فبينا كنت صباح امس جالساً في

مكتبي جاءني احد مشاهير اغنياء انكلترا واوسعهم جاهاً وسألني ان ادينه مبلغ خمسين الف ليرة بفائدة قانونية الى اجل اربعة ايام فقط فقلت له انا لا ندين احداً شيئاً بلا رهن يوازي القيمة او يفوقها . فاجابني بالقبول ثم اخرج من جيبه كيساً وقال — لابد انك سمعت بالتاج الزمردي . قلت — نعم وهو اجمل الحلى في انكلترا واثمنها . وكان الرجل في هذه الهنيهة قد اخرج من الكيس تاجاً مرصعاً باللآلىء الكريمة وعددها تسعة وثلاثون حجراً فوضعه امامي وقال — هل هذا كافٍ ؟ قلت — ومن يشك في ذلك ؟ قال — ان تسليمي هذا التاج اليك يامستر هولدر لاقوى دليل على شدة ثقتي بك وفي يقيني انك تكتم امره وتحافظ عليه لئلا تناله يد مجهولة او يفقد شيء من احجاره لان ليس لها مثيل في العالم كله * فوعدته خيراً وسلمته المبلغ المطلوب فاخذه وانصرف لشانه . وكان التاج لم يزل امامي على المائدة فتناولته وقلبته بين يدي وللحال ادركت عظم المسؤولية التي القيتها على عاتقي بقبولي مثل هذا الرهن الثمين وعزمت ان آخذه الى بيتي ولا اتركه بعيداً عني بل يكون حيث اكون انا . هذا من حيث التاج يامستر هولمز وكيف وصل الي . بقي ان اخبرك عن احوالي بالتفصيل ليتسنى لك الوصول الى الغاية المقصودة

وكان شرلوك جامداً في مكانه مصغياً للحديث بتمام الانتباه

وهو لا يكاد يرفع نظره عن محدثه لئلا تفوته حركة من حركاته او معنى من معانيه . وعاد المستر هولدر الى حديثه فقال : يوجد في منزلي من الخدم ثلاث بنات لا ريب عندي بامانتهنّ واخلاصهنّ لانهنّ صرفنَ في خدمتي زمناً طويلاً وقد اختبرتهنّ جيداً . غير انه منذ بضعة اشهر دخلت في خدمتي فتاة رابعة اسمها لوسي وهي ذات جمال بارع واخلاق حسنة . هذا من حيث الخدم . اما من جهة اسرتي فانا ارمل وليس لي الاّ ابن وحيد اسمه ارثر كان اكبر سلوة لي وموضوع رجائي وتعزيتي غير انه لنكد طالعي قد خيّب امالي فيه ودنس شرفي واسمي لانه شبّ على عوائد ذميمة فكان مبذّراً مسرفاً شريراً . ولا ريب ان اللوم كل اللوم عليّ لاني لم احسن تربيته وتدريبه على اقوم السبيل بل تركت له الحبل على الغارب واطلقت له العنان فدخل في جمعية ارسطوقراطية وجعل يبدد اموالي على اهوائه وملذاته . وكان يستدين المبالغ الطائلة وانا افيها صاغراً . وله صديق حميم يقال له السير جورج برنويل وهو فتى جميل الطلعة ملق اللسان لطيف المعشر غير انه خبيث لئيم وله على ارثر سلطة غريبة فانه مراراً عديدة كان يصمم على ترك الجمعية فيحول الخبيث دون مرامه وهو يتردّد كثيراً على منزلي ولا سيما في الآونة الاخيرة . لم يبق الاّ ماري لم اخبرك عنها فهي ابنة اخي المتوفى

منذ خمس سنوات وقد احضرتها بعد وفاة والدها الى منزلي وتبنيتها وهي رائعة الحسن لطيفة الذات بارعة بتدبير المنزل ولها ذوق لطيف في الاتقان والترتيب وفي كل مدة وجودها عندي لم تخالفني الا مرة واحدة فقط . وذلك ان ارثر قد احبها ومال الى الاقتران بها فرفضته هي رفضاً باتاً وانا اعتقد انها لو رضيت به خطيباً وحبيباً لكان ذلك انجع واسطة لردعه عن غيه والتنكيب به عن طرق الضلال والشر لكنها اصرت عَلَى الرفض ولم يكن لي حيلة في اقناعها . . . هذه احوالي الداخلية ابنتها لك بالتفصيل . بقي لي ان اسرد على مسمعك حكاية الحادث الهائل الذي لاجله انما التجأت اليك . ففي مساء امس بينا كنت جالساً مع ولديّ ارثر وماري نشرب القهوة قصصت عليهما خبر التاج الثمين المرهون عندي فتشوقا الى روءيته وسألني ارثر — اين وضعته يا ابي ؟ فاجبته — في صندوقي الخصوصي . قال — ارجو ان لا يحصل لهذا الرهن الثمين ما ينغص عليك هناءك . قلت — لا خوف عليه يا ارثر لان الصندوق مقفل فلن تناله يد اثيمة . قال — واي نفع من القفل ومفاتيح كثيرة تفتحه وأذكر اني وانا صغير فتحته بمفتاح تلك الخزانة . فلم اكترث لكلامه . ولما ذهبت الى مخدعي تبعني وقال — هل تريد يا ابي ان تعطيني مئتي ليرة قلت — لا اريد فقد اعطيتك كثيراً . قال — لا انكر ذلك غير اني

الان باشد الاضطرار الى هذا المبلغ و بدونه لا يمكنني الظهور بين رصفائي في نادي الجمعية . قلتُ — هذا جلّ ما اتمناه . قال — فهل ترضى اذاً بانحطاط اسمي وشرفي ؟ فاذا كان ذلك لا يهمك فانا لا ارضى به ولذلك تراني مضطراً الى اتخاذ كل وسيلة تنيلني مبتغاي . ولما قال ذلك سلم وانصرف وبقيت وحدي مغتاظاً اشد الغيظ من تصرفه وتهوره وطلبه المتواصل للمال لانه في خلال هذا الشهر اخذ مبلغين كبيرين كالذي طلبه . ولما خرج بادرت الى الصندوق ففتحته وتاكدت من وجود التاج هنالك . ثم تعهدت الابواب بنفسي لارى ان كانت موصدة . ولما نزلت الى الطبقة السفلى رايت ماري مطلة من احدى النوافذ ولما شعرت بوطء اقدامي اغلقت النافذة والتفتت اليّ قائلة — أأذنت اذنت يا والدي للوسي ان تخرج من المنزل هذا المساء ؟ قلتُ — كلاّ . قالت — قد رايتها الان داخلة فيجب تعنيفها وردعها خوفاً من حصول ما لا تحمد عقباه . قلت — صدقت فنبهيها الى ذلك وهل تاكدت ان الابواب جميعها مقفلة ؟ قالت — نعم يا ابي . فودعتها وعدت الى مخدعي ورقدت في سريري وانا لا اعلم بما خبأته لي يد الاقدار . وارجوك يا مستر هولمز ان تسألني ما شئت اذا رايت في كلامي ابهاماً او تقصيراً

— بالعكس يا مستر هولدر فحديثك واضح و بيانك جلي

واستتلى هولدر كلامه قائلاً — في الساعة الثانية بعد نصف الليل استيقظت من نومي على صوت دوى في البيت فوثبت من فراشي وبادرت الى غرفة الثياب حيث كان صندوقي فرأيت ارثر والتاج بيده فصحت به — ماذا تعمل هنا ايها اللص وكيف تجاسرت ان تمس التاج بيدك ؟ وكان الخبيث بثياب النوم وهو يحاول احناء التاج بكل قوته · فلما سمع صوتي القاه من يده وقد اصفرّ لونه وارتعدت فرائصه · فتناولت التاج بيدي وتأملته فرأيت احدى زواياه مكسورة وثلاثة احجار مفقودة منه فطار صوابي وصحت بارثر قائلاً — لقد اسقطت شرفي ايها النذل فاين الاحجار التي سرقتها ؟ قال — التي سرقتها ؟ قلت — نعم وهززته من كتفه · قال لم يفقد شي من التاج ولا يمكن ان يفقد شيء · قلت — ثلاثة احجار مفقودة منه وانت تعلم مكانها ايها اللص الكذاب · قال — حسبك يا والدي فقد اتهمتني باكبر التهم ونسبت اليّ ادنى الخصال ونفسي اكبر من ان تحتمل مثل هذه الاهانة ولهذا السبب وغيره اقول لك عبثاً تحاول ان تعلم مني شيئاً عن التاج ولا احب اطالة الجدال معك في هذا الموضوع وغداً سأترك بيتك لامحالة واذهب الى حيث تطيب لي الاقامة · قلت نعم تترك بيتي ولكن بين ايدي رجال الشرطة اما انا فسأتابع الامر الى النهاية · وكان جميع من في البيت قد استيقظوا على اصواتنا وجاء وامسرعين

ولما وصلت ماري ورأت التاج وتفرست في وجه ارثر ارتعدت ووقعت مغشياً عليها . وكنت قد طلبت الشرط فجاؤوا حالاً . ولما ابصرهم ارثر قال لي — ارى من مصلحتك يا ابي ان لا تأمر بالقاء القبض عليَّ ريثما اخرج خمس دقائق فقط وعندئذ فانت وما تشاء . قلت — انك لا تستطيع ان تموّه علي باكاذيبك وحيلك فانت تريد ان تحتال لتخفي الاحجار وتلوذ بالفرار . اما انا فانصحك ان ترد الذي سرقته حالاً وبذلك تخلص شرفي وشرف من هو اعظم مني وبغير ذلك لا مفرّ لك من يد القضاء لاني رايتك بعيني ترتكب جناية السرقة . فان اعترفت بذلك وقلت لي اين وضعت الاحجار فانا اعفو عنك وانسى زلتك . قال — انا لا التمس منك ان تعفو عني او ترحمني فافعل ما تشاء . ولما قال هذا سلم نفسه للشرط فساقوه الى حيث ينال جزاء خيانته وبادرت اليك يا مستر هولمز لتنقذني من هذه الورطة العظيمة لاني في ليلة واحدة خسرت ولدي وشرفي والتاج

وكان شرلوك لا يزال جالساً في مكانه مصغياً اتم الاصغاء فلما فرغ هولدر من حديثه سأله قائلاً — ارجوك ان تذكر لي من يزورك في بيتك

— لا يزورني سوى شريكي واسرته والسير جورج برنويل وهذا يتردد علي كثيراً ولا سيما في الآونة الاخيرة

ــ هل تكثر انت من التردد الى محلات اللهو العمومية

ــ لم ازرها قط ولا يذهب اليها احد من اسرتنا الا ارثر

ــ وماري ؟

ــ انها ملازمة البيت لا تكاد تخرج منه

ــ ان وجود مثل هذا الطبع في فتاة صغيرة لهو نادر

ــ ليست ماري صغيرة بقدر ما تصورت لانها الان في الرابعة والعشرين من عمرها غير انها هادئة الطبع كثيرة التامل

ــ ولذلك فقد صار عندي شك كبير فيها من جهة التاج

فذعر هولدر وقال ــ عجباً وكيف تراءى لك ذلك وهي قد حزنت على فقد الجواهر اكثر مني ؟

ــ فاذاً انت لا ترتاب في اتهام ارثر

لا سبيل الى الريبة وقد رايته بعيني

ــ انا لا ارى رايك في القاء التهمة عليه . وهل رايت ضرراً اخر في التاج ؟

ــ نعم فانه معوج

ــ الا تظن ان ولدك كان يحاول تقويمه وليس سلبه ؟

ــ اراك تدافع عنه فاذا كان قصده شريفاً لماذا لا يتكلم ؟

ــ واذا كان سيئاً لماذا لم يختلق اكذوبة تخلصه ؟ وعندي ان سكوته لا ينفي براءته ولا يثبت جريمته فما هو راي الشرط بالصوت

الذي ايقظك من النوم ؟

— قالوا انه صوت صرير الباب حينما اقفله ارثر

— ما هذا الفكر الغريب ؟ ايعقل ان لصاً يحدث صوتاً في البيت يوقظ النائمين ؟ وماذا قالوا عن الجواهر المسروقة ؟

— لا يزالون يبحثون عنها

— هل فتشوا خارج المنزل ؟

— نعم واظهروا اهتماماً زائداً

— اسمع يا مستر هولدر . أن حلّ هذه المسئلة ابعد كثيراً مما تصورتم انت ورجال الشرطة وبقدر ماظهرت لكم بسيطة اراها معقدة لانه لا يعقل ان يكون ولدك قد دخل الغرفة وحمل التاج الى الخارج حيث انتزع منه ثلاثة احجار ثم عاد الى الغرفة واقام فيها طويلاً معرّضاً نفسه للخطر

— وما السر في ذلك اذاً يا مستر هولمز ؟ فاذا كان ارثر بريئاً لماذا لا يظهر ذلك ؟

— هذا عليّ ان اعرفه فهيا بنا الان الى ستريتهام (حيث يقطن هولدر) فلعله يفتح علينا بشيء جديد هناك . قال هذا ونهض ووطسن وهولدر يتبعانه صامتين معجبين بنباهته وذكائه ولما وصلوا الى المكان المقصود انفرد عنهما شرلوك ودار حول المنزل وتفقد جميع الغرف ولم يدع دهليزاً او ممراً الا ودرسه بدقة

تامة . اما هولدر ووطسن فتركاه ودخلا الى ردهة الجلوس . و بينا كانا جالسين هناك يتحادثان اذ دخلت عليهما ماري وقد امتقع لونها وظهر القلق في وجهها . فتقدمت الى عمها وقالت له — الم تأمر باطلاق ارثر يا ابي ? فهو بريء كما ارى

ـ وكيف يكون بريئاً ويسكت ?

ـ من يعلم ? فلعله استاء من تسرُّعك بالقاء التهمة عليه فاصرَّ عَلَى الكتمان

ـ وكيف لا اتهمه وقد رأيتُ التاج بيده?

ـ لا يجب ان تؤخذ بالظواهر اما انا فاؤكد لك ان ارثر بريء فمر باطلاق سراحه واكفنا الم هذه الذكرى

— ان شعوركِ نحو ارثر يدفعك يا عزيزتي الى التوسط في امره ولكن لا يجب ان تنسي ايضاً ان فقدان هذه الجواهر يضرُّ بسمعتي كثيراً ويلحق باسمي وصمة عار لا تمحى وعليه فقد استدعيتُ اليوم من لندن شاباً حاذقاً في كشف المخبآت وهو لا يلبث ان يظهر لنا الحقيقة ويكشف عن السارق

— اين هو هذا الشاب?

— هو الان يبحث في الاسطبل

— في الاسطبل ? وما علاقة الاسطبل بالجواهر ? ان ذلك غريب

وما كادت ماري تتم كلامها حتى دخل شرلوك وسلم على الجماعة فقام هولدر وعرّفه بابنة اخيه . فنظر شرلوك اليها كمن يستشف دخائلها ثم قال لها : هل تسمحين لي ايتها الانسة اللطيفة ان القي عليك بعض اسئلة ؟ فاجابت وقد ظهر بعض الاضطراب في وجهها - قل ما بدالك

قال — اما سمعتِ صوتاً الليلة الغابرة ؟

قالت — لم اسمع الا صوت عمي وهو يوبخ ارثر

— وهل اقفلت جميع الابواب والنوافذ ليلة امس ؟

ـ نعم اقفلتها كلها

ـ ولما استيقظتِ في الصباح هل وجدتها مقفلة ؟

— نعم

ـ عندكم خادمة عاشقة وقد اخبرتِ عمك انها خرجت ليلاً فلعل خروجها كان لتقابل حبيبها ولعلَّ حبيبها كان ينتظرها على الباب

— لا يستبعد هذا وازيدك علماً ان هذه الفتاة قد سمعت حديث عمي لنا عن التاج

ـ وهل تظنين انها خرجت تلك الليلة واتفقت مع حبيبها على سرقته ؟

فاعترض هولدر وقال متضجراً ـ ما الفائدة من هذه الاسئلة

وقد اخبرتك مراراً اني رايت التاج بيد ارثر ؟

فقال له شرلوك — لا تستعجل يا مستر هولدر . ثم التفت الى ماري وقال — اظن ان الخادمة لما عادت الى البيت جاءت عن طريق المطبخ

فذهلت ماري وقالت — نعم ولما ذهبتُ لاتفقد الباب وجدتها نائمة هناك ورأيتُ الرجل يعدو تحت جنح الظلام

— اتعرفينه ؟

— نعم هو فرنسيس بائع الخضر

— وهل كان واقفاً بجانب الباب ؟

— نعم

— وهل رجله من خشب ؟

— فامتقع لون ماري وقالت : وهل انت ساحر ؟ وكيف توصلت الى كل ذلك ؟

فتبسم شرلوك ونهض وهو يقول : قبل ان انتقل الى الطبقة العليا يجب ان اتم البحث هنا وحول النوافذ . ثم خرج وجعل يدور حول النوافذ و يتاملها . ولما وصل الى النافذة المطلة على الاسطبل وقف هناك وفتحها ونظر الى كل شيء بانتباه ثم قال — لقد اكتفيت من هنا فلننتقل الى الطبقة العليا . ولما ولج الغرفة التي سرق منها التاج تامل قفل الصندوق وسأل : اي المفاتيح

يفتح عليه ايضاً ؟ فقال هولدر :هو المفتاح الذي اشار اليه ارثر ·
فاخذه شرلوك وفتح به الصندوق واخرج التاج وقال لهولدر —
احنهِ اذا كنت تقدر · فقال — لا افعل ذلك ابداً · قال —
انا اذاً اجرّب ذلك · ثم اخذه بكلتا يديه وحاول بكل قوته احناءه
ولكن علَى غير جدوى فقال — يستحيل علَى رجل واحد احناء
هذا التاج و كسره بيديه · فدهش هولدر وقال — ولو فرضنا انك
كسرته فماذا يعقب الكسر ؟ قال — يعقبه صوت كطلق عيار
ناري · وهل تظن ان ذلك جرى في هذه الغرفة القريبة منك وانت
نائم ؟ قال — لا اعلم · فالتفت شرلوك الى ماري وقال لها —
فما رأيك ايتها الآنسة ؟ قالت — انا مثل عمي حائرة في هذا
الامر · فقال شرلوك لهولدر — هل كان ارثر منتعلاً حذاءه لما
رأيته بالامس هنا ؟ قال — كلا بل كان عاري القدمين و بثياب
النوم فقط · قال استأذنك يامستر هولدر لاستأنف البحث خارج
البيت · ولما قال هذا خرج ثم عاد بعد ساعة وقال — انا ذاهب
الان الى بيتي حيث اتمكن على انفراد من اعمال الفكرة للحصول على
النتيجة المرغوبة باقرب وقت · فقال له هولدر — اين الاحجار
يا مستر هولمز ؟ قال — لا اقدر ان اخبرك الان شيئاً عنها واثما غداً
صباحاً ارجوك ان تكون عندي بين الساعة التاسعة والعاشرة ·
وهل انت مستعد لبذل ما يلزم من المال في هذا السبيل ؟ قال —

اني مستعد ان ابذل كل ثروتي فاطلب ما تشآء ٠ قال — الى الغد اذاً ٠ ثم قام شرلوك هولمز وخرج هو وصديقه وطسن عائدين الى منزلهما

ولما دخل شرلوك الى غرفته خلع ثيابه وارتدى لباساً رثاً واخذ في جيبه قطعة من الخبز وشيئاً من اللحم المقدد وخرج ٠ ولم يلبث ان عاد متأبطاً حذاء فالقاه جانباً وشرب قليلاً من الشاي ثم خرج ولم يعد الا بعد منتصف الليل

وفي الصباح التالي قام من سريره فشرب القهوة وجلس واذا بوطسن داخلا فقال له اعذرني ايها الصديق لاني شربت القهوة قبل حضورك فالمستر هولدر قريباً يحضر ٠ فقال وطسن — الان الساعة تجاوزت التاسعة واخاله قادماً ٠ اسمع فها جرس المنزل يقرع

وما كاد وطسن يفرغ من كلامه حتى دخل هولدر وقد اصفرّ لونه وغارت عيناه ووهنت قواه ٠ فقدم له شرلوك كرسياً فجلس وقال — لست ادري اي ذنب جنيته حتى نزل بي هذا المصاب فقد قلت امس لماري : انكِ لو رضيت بارثر خطيباً لما وصلنا الى هذه الحالة ٠ وفي هذا الصباح ذهبتُ الى غرفتها فلم اجدها وقد تركت لي هذا الخطاب

فاخذه شرلوك وقرأ ما يأتي :

« عمي العزيز ! باسف اخبرك بان الذي جرّ عليك كل هذه البلايا هو انا لاني لو لم اسلك هذا المسلك لما نزلت بك هذه المصيبة الدهماء وبما ان هذا الصوت يدوي في راسي وليس لي سبيل الى نزعه ارى انه يستحيل عليّ ان اجد السعادة تحت سقف بيتك بعد الان ولذلك فليس لي الا ان اهجرك الى الابد . فلا تقلق من جهتي ولا تهتم بامر مستقبلي ولا تبحث عني لانك لن تظفر بي اما انا فقد اختطت لنفسي بما يدفع عني كل خطر والسلام عليك ممن لا تنساك الى الابد ابنتك ماري »

ولما فرغ شرلوك من مطالعة هذا الخطاب سأله هولدر قائلاً

— ماذا يُفهم منه يا مستر هولمز ؟ وهل تظن ان ماري عازمة على الانتحار ؟

فقال — لا شيء من ذلك يا مستر هولدر ولا يزعجك شيء من امرها لانها انما ارادت ان تنجو بنفسها من هذه الورطة فلم ترَ الا الفرار سبيلاً

— ماذا تقول يا مستر هولمز ؟ اخبرني بحق السماء ماذا علمت من امر الجواهر

— لو صرفت الف ليرة في سبيل كل واحدة منها اتظن ذلك كثيراً ؟

— كلا فاني ادفع عشرة الاف

— اذا كان دفتر التحاويل في جيبك اكتب لي تحويلاً باربعة الاف ليرة

فابرقت عينا هولدر وتنفس الصعداء ولم يلبث ان اخذ الدفتر من جيبه وقطع تحويلاً بالمبلغ المطلوب وكان شرلوك في هذه الهنيهة قد فتح خزانته واخذ منها الزاوية الذهبية وعليها الاحجار الثلاثة وقدمها لهولدر · فاخذها هذا وصاح وهو يرقص طرباً «خلصت خلصت»

فقال له شرلوك — انت لا تزال مديوناً

— بماذا ؟ اتطلب تحويلاً آخر ؟ انطق فقط وانا اكتب ماتريد

— الدين ليس لي بل الى ذلك الفتى الشريف ارثر فانك مديون اه بطلب المعذرة منه عما عاملته به من الظلم والفظاظة

— اذاً لم يكن ارثر سارقاً ؟

— قلت لك سابقاً والان اكرر القول بان ارثر بريء

— اذا كنت متحققاً ذلك فهيا بنا اليه لنخبره الحقيقة

— قد عرفها لاني بعد ما انهيت عملي ذهبت اليه وطلبت منه ان ينبئني بالذي جرى لكنه اصرّ على ان لا يفوه ببنت شفة ولما اثبتّ له باني مطلع على كل ما بدا وما اختفى قص علي الحكاية

— بحق الالهة اخبرني ما هذا السر الهائل ؟

— اسمح لي ان ابدي لك ما يصعب عليَّ ان اقوله و يشق عليك ان تسمعه فان ربيبتك ماري والسير جورج برنويل اتفقا عَلَى الفرار وهربا معاً

— ماري ؟ ذلك مستحيل

— هي الحقيقة ولا مراء فيها فالسير وليم جورج برنويل هو فتى خليع متهتك دأبه المقامرة والميسر لا قلب له ولا ضمير وقد اغوى ماري واستمالها اليه واقسم لها انه يحبها وانها الوحيدة التي بجمالها قد تصبته وفتنته . فصدقت المسكينة كلامه واغترت به وسلمته قيادها وليس في قلبه ذرة من الحب الحقيقي لها بل هي الشهوة وارتكاب المعاصي مهدا له سبيل اغرائها والتسلط على فوءادها وهو بعد ان يفوز منها بالارب و يسقطها تلك السقطة العظيمة سينبذها نبذ النواة و يتركها تقاسي حياة الشقاء والبوءس عاقبة كل من يقع في اشراك الفاسقين المنافقين . وامثال هذا الحادث كثيرة ولا يقدم عليها الا كل منحط ذميم متجرد من الشرف والدين والانسانية لان الصبايا يكنَّ عَلَى الغالب سريعات التصديق يوءخذن بزخارف الكلام و يعتقدن الاخلاص وصدق الطوية في كل من يبدي ميلاً اليهن فيسقطن و يكون سقوطهن عظيماً و يقضين ضحية الغرور .. هكذا اتفق لماري ايضاً واصبحت

في يد عشيقها آلة يديرها كيف شاء

فلما سمع هولدر هذا الكلام احمرَّ وجهه خجلاً وقال وهو يكاد يذوب حزناً — لا اريد ولا اقدر ان اصدق مثل هذا الخبر عن ماري

— اسمع! فأتلو عليك تفصيل ما حصل في تلك الليلة المشؤومة: لما دخلت مخدعك نزلت ماري الى الطبقة السفلى وفتحت النافذة المطلة علَى الاسطبل وكان السير جورج برنويل ينتظرها خارجاً وكانت هي قد اخبرته بالتاج المرهون عندك فطمع به واغراها بسرقته ٠٠ لا شك عندي في محبة ماري اياك واخلاصها لك غير ان من النساء من يثملن من خمرة الغرام فينسينَ كل قريب وعزيز ولا يعرفن غير الحبيب حبيباً ٠ وهكذا فعلت ماري ٠ وهي لما سمعت وقع قدميك في المرة الاولى اسرعت واوصدت النافذة وبادرتك بالشكوى من الخادمة لوسي ٠ اما ارثر فبعد ان تركك دخل غرفته ولم يلبث ان تذكر ديونه وان موعد وفائها قد آن فلم يهدأ له بال ولم يقرّ له قرار ولما انتصف الليل سمع وطئاً خفيفاً امام غرفته فنهض من فراشه مذعوراً ونظر من شق الباب فرأى ماري متجهة نحو الغرفة التي فيها التاج فظلّ يراقبها وقد رابه امرها ٠ وما عتم ان رآها عائدة والتاج بيدها فتبعها متحذراً ليقف علَى دخيلة امرها ٠ وكانت ماري قد

نزلت الى الطبقة السفلى وذهبت الى النافذة وناولت التاج الى
السير جورج برنويل في ذلك الليل البهيم. ففهم ارثر السر وادرك
العاقبة التي تحل بك اذا فقد التاج. فهرول مسرعاً بثياب النوم
وهو حاسر الرأس عاري القدمين واقتفى اثر السير جورج وظل
يتبعه الى ان امسكه وجرت بينهما معركة لطم في اثنائها ارثر
جورج لطمة عَلَى وجهه اسالت دمه وقد رأيتُ اثر الدم
في محل القتال. وكان كل منهما قابضاً عَلَى التاج حتى انكسر
والقسم الاكبر منه بيد ارثر فحمله وعاد به الى الغرفة وهو لا يظن
انه فقد منه شيء ولما رآه معوجاً اخذ يقومه فاذا بك تصيح
به وتصبّ عليه جوارح الكلام والاهانة في حين انه كان يستحق
جزيل الشكر وعاطر الثناء. وقد احتمل هو كل ذلك منك
واختصر الكلام في الموضوع حرصاً على سر من احبتها نفسه وكان
لها في قلبه مكانة رفيعة. ولما جاءت ماري ورأت التاج اضطربت
وخافت ان يبوح ارثر بسرها ولذلك اغمي عليها. ولم يقصد ارثر
بالخروج خمس دقائق من الغرفة الاّ ليبحث عن الاحجار
المفقودة حيث التقى بجورج. اما كيف توصلتُ الى معرفة كل
ذلك فاني لم اتوفق الى شيء الا بعد وصولي الى النافذة المطلة
على الاسطبل حيث وقفت وقرأت ما دار وماجرى واتبعت اثر
الاقدام فرأيت على الثلج اثاراً بحذاء واخرى على اثرها عارية

فعرفت ان العاري القدمين هو ارثر . بقي عليّ ان اعرف من جاء بالتاج من غرفتك ومن استلمه من النافذة . توجد قاعدة اتخذتها منذ زمان في استكشاف الغوامض وهي « بعد ان تستخلص المستحيل فالذي يبقى مهما كان غير محتمل يلزم ان يكون الحقيقة » . ولذلك فبعد ان عرفت المستحيل في هذه القضية وهو انك لم تأت انت بالتاج من الغرفة وتسلمه لاحد تحت ستر الظلام . لم يبقَ سوى اذاً الخادمات وماري . وبلا شك ان ارثر لا يحتمل الاهانة لاجل الخادمات بقيت ماري فحباً بها وحرصاً على شرف الاسرة ابى ارثر ان يبوح بسرها وبما انك رأيت ماري تلك الليلة في النافذة وحيث ان لونها تغير وخارت قواها حينما رأت التاج ايقنت انها هي هي السارقة . هذه هي نتيجة بحثي في البيت وحوله فقط . ولم يبقَ الاَّ ان اعرف شريك ماري . فقرائن الاحوال تدل على انه عشيق اذ لا يمكن انها ترجح محبة احد عليك الا ان يكون عشيقها وهذا عرفته في شخص السير جورج برنويل لكثرة تردده عليكم ولا سيما في الايام الاخيرة . فلما عدت الى منزلي لبست لباس الشحاذين وقصدت بيت السير جورج وقابلت خادمه وعلمت منه ان سيده ترك المنزل في تلك الليلة وقد اغريته واشتريت منه الحذاء الذي لبسه سيده وقتئذٍ وجئت به وقابلته بالآثار

التي كانت لا تزال واضحة على الثلج . ولما لم يبق عندي ريب في امره رجعت اليه وطلبت منه الاحجار فانكرها . ولما بينت له ببراهين ساطعة ثبوت وجودها في حوزته اسرع فتناول بندقية من الجدار وقبل ان يطلقها انتشلت مسدسي من جيبي وصوبته الى راسه متهدداً فعاد وجلس . ثم قلت له اني انقده الف ليرة عن كل حجر اذا ردها الي فاجابني والندم بادٍ عليه بانه باعها بستمئة ليرة وذكر لي اسم المشتري . فذهبت اليه وبعد العناء الشديد ابتعتها منه باربعة الاف ليرة

— لست انسى فضلك يا مستر هولمز ما دمت حياً وان ما اظهرته من الفطنة والحذاقة لهو من النوادر فعليَّ الان ان اذهب الى والدي واساله الصفح عن اساءتي اليه اما ماري فقد جرحت قلبي بعملها افلا تخبرني اين هي الان ؟

— حيث السير جورج برنويل هناك ماري وستذيقها الايام مرَّ العقاب وتندم حين لا ينفع الندم

(عن الانكليزية) جميل لحام



— لماذا الخواجا فيليب مغرم بحب الاوانس ؟

— لانه يقبلهنَّ كلهن

— كيف يعمل ذلك ؟ — بشفتيه ...

﴿ المدرسة العلمية في حمص ﴾

احتفلت هذه المدرسة الزاهرة في ٣ كانون الاول شرقي بتوزيع الجوائز على مستحقيها من الطلبة في الامتحان ربع السنوي بحضور عمدة المدرسة الاماثل يتصدرهم حضرة الوجيه اتاسي زاده نجم الدين افندي رئيسها الهمام و بعض الزائرين الافاضل · وقد افتتح الحفلة جناب العالم الفاضل علي افندي نائب الرئيس و بين درجات النجاح بخطبة غرآء كان لها احسن وقع ثم تعاقب الخطبآء من الطلبة مما دل على حسن استعداد ونجابة واخيراً نهض حضرة الكاتب الفاضل زكريا افندي المري مدرّس اللغة الفرنساوية وخطب باللغتين العربية والافرنسية فاجاد وافاد ثم ختمت الحفلة وارفضّ الجمع وكلهم السنة تدعو بازدهار المعارف في جميع انحاء الدولة العلية المحروسة

فنحن نثني علَى ارباب هذا المعهد الزاهر ونسال الله ان يوفقهم وجميع قادة العقول الى سوآء السبيل وخطة النجاح بفضله وكرمه

﴿ آثار ادبية ﴾

الجامعة — تقدم لنا في الجزء الاول من نفائس هذه السنة الايماء الى هذه المجلة وقد صدرت الان في مصر وجاءنا الجزء الاول من سنتها السابعة · وفيما عهد القراء من

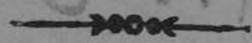
براعة منشئها الاديب وحسن اسلوبه في الانشاء ما يغني عن اطرائها
وبيان سعة فوائدها . فنثني اجلّ الثناء على همة صاحبها الفاضل
فرح افندي انطون الكاتب الاجتماعي المشهور ونحث جمهور
المطالعين على اقتنائها ونرجو لها مزيد الرواج والانتشار . وهي
تصدر مرة واحدة في الشهر في ٦٤ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي
٣ ريالات مصرية في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في الخارج

مملكة جهنم — لا حاجة الى وصف ما نالته موءلفات
الفيلسوف تولستوي من الشهرة والانتشار واقبال الوف وملايين
القرّاء عليها من جميع الامم والشعوب . وامامنا الان منها كتاب
صغير الحجم غزير المادة زاخر بالفوائد الاجتماعية العمرانية الادبية
وقد نقله من الروسية الى العربية حضرة صديقنا الفاضل سليم
افندي قبعين وطبعه طبعاً متقناً وجعل ثمنه ٤ غروش فنحث القراء
على اقتنائه والانتفاع بفوائده وهو يطلب في سوريا من ادارة هذه
المجلة

النجوى — تلقينا نسخة من هذا الكتاب اللطيف تأليف
حضرة الكاتب الاجتماعي فليكس افندي فارس صاحب جريدة
لسان الاتحاد وهو عبارة عن رسالة ورواية زفهما الموءلف الى نساء
سوريا . وفي شهرة فليكس افندي ما يغني عن اطراء النجوى
وبيان منزلتها من الرقة والابداع . فنحض جمهور القارئات

والقرآء على مقتناها

الحاجيات والكماليات ـ اطرفنا حضرة النطاسي الفاضل الدكتور كامل افندي سليمان الخوري عيسى من حمص بخطابة له بالعنوان المذكور تلاها في نادي الحرية في حمص وتوخى فيها بيان ما تحتاجه الامة من الحاجيات والكماليات كاصلاح الزراعة والصناعة والتعليم والاداب والاخلاق من كل ما تروق مطالعته و يحسن وقعه . فنشكر لحضرته هديته اللطيفة ونثني على همته ثناء طيباً

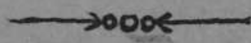


﴿ اهدآء النفائس ﴾

من الآنسة المعلمة مريم كفاتي (حيفا) الى اخيها الخواجا حنا كفاتي (هندورس اميركا) ـ ومن الانسة المعلمة هيلانة رمان (بيت ساحور) الى الانسة المعلمة نعمة يعقوب (القدس) ـ ومن الانسة المعلمة كرم خوري (حيفا) الى شقيقتها الست خاتون خوري (و يلكزبار الولايات المتحدة) — ومن الانسة المعلمة ضيا طرابلسي (حيفا) الى عمها الخوري سيميون عيسى (المكسيك) —ومن الخواجا الياس عوده الشماوي (بيت ساحور) الى الخواجا عطا الله الشماوي (هندورس اميركا) مدة وجوده في الانحاء الاميركية — ومن فيليب افندي حسون (حيفا) الى

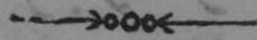
رفعتلو حبيب افندي فارس (السلط) — ومن امين افندي وهبه (برمانا) الى جبرائيل افندي سليم بو كتي (طنطا) — ومن اسعد افندي مرهج (معلقة زحله) الى ابنة اخيه الانسة اولغا مرهج (الشوير) — ومن الخواجه داود سعاده (حيفا) الى ابن عمه الخوري يوسف سعاده كاهن طائفة اللاتين في كفر ياسيف — ومن خليل افندي صالح الحكيم (حيفا) الى الخواجه جوزف خليل سكرتير ادارة الترامواي الكهربائي في دمشق

فنثني عاطر الثناء على حميتهم الادبية ونشكر غيرتهم الوطنية



عيد الميلاد والعام الجديد

نتقدم الى جميع قرائنا الكرام من المسيحيين عَلَى اختلاف طوائفهم باخلص التهاني بعيد الميلاد المجيد ورأس السنة الجديد اعادهما الله عليهم جميعاً اعواماً عديدة بانعم بال وارغد حال راجين من الجميع ان تنوب هذه الاسطر لديهم عن بطاقة المعايدة والزيارة



اعتذار

ضاق نطاق هذا الجزء عن كثير مما لدينا من المواد المرسلة من حضرات المكاتبين الافاضل فنرجو من اصحابها عذراً

